الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

And popular Republic of Algeria Democratic

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

المركز الجامعي علي كافي تندوف

Ali Kafi University Center of Tindouf

معهد اللغة والأدب العربي

محاضـرات فـي مقيـاس: علــم الاجتمـاع في الجـزائـر

لطلبــة سنــة ثانيـة ليســانس

ميـدان: العلـوم الاجتماعيــة

الشعبــة: علـم الاجتمـاع

التخصص: علـم الاجتمـاع

إعـداد الدكتـورة

قيلــي مامــة

السنة الجامعية 2024م/2025م

مقياس	علم الاجتماع في الجزائر	طبيعة المقياس	سداسي
الفئة المستهدفة	مطبوعة موجهة لطلبة سنة ثانية ليسانس علم الاجتماع نظام LMD		
الرصيد	05	المعامل 02	الحجم الساعي 45 ساعة خلال السداسي
أهداف المقياس	✓ التعرف على نشأة وتطور علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية (علم الاجتماع الأكاديمي). ✓ التعرف على رواد علم الاجتماع في الجزائر. ✓ التعرف على أعمال الرواد السوسيولوجية في الجزائر.		
القدرات المكتسبة	معرفة تاريخ علم الاجتماع في الجزائر وأهم المشتغلين فيه وأعمالهم		
البرنامج الرسمي للمقياس	**المحور الأول: مدخل تمهيدي لعلم الاجتماع بالوطن العربي** 1- مفهوم علم الاجتماع 2- سوسيولوجيا الوطن العربي 3- آراء السوسيولوجين العر حول واقع علم الاجتماع بالوطن العربي 4- أسباب أزمة علم الاجتماع في الوطن العربي 5- الحلول الممكنة لتطوير علم الاجتماع في الوطن العربي **المحور الثاني : السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر** 1- ماهية السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر 2- السوسيولوجيون الكولونياليون بالجزائر 3- الكتابات الأجنبية في العهد الاستعماري الفرنسي 4- نماذج لبعض الدراسات السوسيولوجية الكولونيالية بالجزائر 5- مخلفات السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر **المحور الثالث : الجزائر المستقلة: إسهامات سوسيولوجية جزائرية** 1- مراحل تطور علم الاجتماع بالجامعات الجزائرية 2- اسهامات سوسيولوجية جزائرية ➢ جيلالي اليابس ➢ علي الكنز ➢ جمال غريد ➢ سعيد شيخي ➢ بوزيان صمود ➢ عبد المجيد بوزيدي ➢ عبد المالك صياد		

فهرس الموضوعات

الموضـوع	رقم الصفحة
فهرس الموضوعات	-
مقـدمــة	أ
مدخل عام	01
المحور الأول: مدخل تمهيدي لعلم الاجتماع بالوطن العربي	
1- مفهوم علم الاجتماع	03
2- سوسيولوجيا الوطن العربي	04
3- آراء السوسيولوجين العر حول واقع علم الاجتماع بالوطن العربي	06
4- أسباب أزمة علم الاجتماع في الوطن العربي	07
5- الحلول الممكنة لتطوير علم الاجتماع في الوطن العربي	08
المحور الثاني: **السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر** (إبان الحقبة الاستعمارية للجزائر: إسهامات مؤرخون، أدباء وعلماء اجتماع)	
1- ماهية السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر	10
2- السوسيولوجيون الكولونياليون بالجزائر	15
3- الكتابات الأجنبية في العهد الاستعماري الفرنسي	19
4- نماذج لبعض الدراسات السوسيولوجية الكولونيالية بالجزائر	22
5- مخلفات السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر	31
المحور الثالث : الجزائر المستقلة: إسهامات سوسيولوجية جزائرية	
1- مراحل تطور علم الاجتماع بالجامعات الجزائرية بعد الاستقلال	36
2- اسهامات سوسيولوجية جزائرية ➢ جيلالي اليابس	47
➢ علي الكنز	55
➢ جمال غريد	66
➢ بوزيان صمود	80
➢ عبد المجيد بوزيدي	83
➢ عبد المالك صياد	85
خاتمة	94

مقـــــدمـــــــــة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف خلق الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين

إن هذا العمل الموسوم بـ مطبوعة بيداغوجية لمقياس علم الاجتماع في الجزائر هو موجه بشكل خاص لطلبة السنة الثانية ليسانس تخصص علم الاجتماع، نظام LMD حيث جاءت محاوره بناءاً على البرنامج المقرر بعروض التكوين ليسانس علم الاجتماع لسنة الجامعية 2024- 2025.

تضم دروس المطبوعة البيداغوجية ثلاثة عشر محاضرة، اتبعت في طريقة عرضها ما هو مقرر في عرض التكوين كما سالفنا الذكر، الخاص بالسنة الثانية ليسانس علم الاجتماع، لسداسي الرابع، وجاءت متدرجة بشكل منهجي، واتبعت بذلك أسلوبا واضحاً وميسراً بالاعتماد على الدقة، بحيث يتمكن الطالب من فهمها فهماً صحيحاً، دون الابتعاد عن المصادر و المراجع المقررة، وذات الصلة بالمقياس.

وبناءا على ما ورد ببرنامج عرض التكوين ومن أجل الالمام بالبرنامج وتقديم كل المادة العلمية المقررة تضمن هذه المطبوعة ثلاثة عشرة محاضرة، وارتأينا بذلك أن نقسم محاور المحاضرات إلى ثلاث محاور رئيسية وأخرى فرعية.

المحور الأول: مدخل تمهيدي لعلم الاجتماع بالوطن العربي

المحور الثاني: السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر (إبان الحقبة الاستعمارية للجزائر: إسهامات مؤرخون، أدباء وعلماء اجتماع)

المحور الثالث: الجزائر المستقلة: إسهامات سوسيولوجية جزائرية

مــدخـل عـــام:

إن المتتبع لسيرورة علم الاجتماع في الوطن العربي منذ القرون التي خلت يلاحظ بدون شك أن بدايته كانت تصور الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لحقبة زمنية معينة، وترجع الإرهاصات الأولى إلى العلامة" ابن خلدون "الذي يرجع له الفضـل في تأسيس علم اجتماع سماه بعلم العمران البشـري، وقد وجد تفسيرات للنظم الاجتماعية في الوطن العربي، وأبدع في تحليله للوضع الاجتماعي في حيز زمكاني معين (المغرب العربي)، غير أن هذا الوضـــع لم يجد ضـــالته، ولم يدم طويلاً، حيث كانت المجتمعات العربية تعيش انحطاط فكري وبقي الفكر الخلدوني في حيز مكاني معين، ولم يراوح مكانه بل اكتنفه الجمود، وفي المقابل اهتمت ثلة من المفكرين الغربيين في القرن الثامن عشـــر والتاســع عشـــر أمثال " هوبز وكونت " وغيرهم بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي يشهدها الغرب خاصة بعد ظهور الثورة الصناعية وما أحدثته من تغير في البنى والأنساق الاجتماعية حيث قاموا بإيجاد تفسير للظواهر الاجتماعية الجديدة والغير مألوفة من خلال أفكار ونظريات تسـعى لتفسـير واقع مجتمعاتهم تفسـيرا علميا للطواهر الاجتماعية، وأصـبح هذا العلم هو الوحيد الذي باستطاعته معرفة ودراسة أحوال الواقع الاجتماعي، وبالفعل تمكن هذا العلم من السيطرة على باقي العلوم الأخرى في الغرب ودامت هذه السيطرة لفترة طويلة، في حين اكتسـح علم الاجتماع المجتمعات العربية على يد المستعمر الذي احتل تقريبا معظم الدول العربية ولفترة طويلة، والجزائر إحدى هذه الدول التي اعتمدت على إنتاج ثقافة استعمارية من خلال استيراد نماذج الجامعات الأوروبية، مما أضـفى عليها صـبغة غربية مبنية على التراث الغربي من خلال الدراسات الانثروبولوجية التي عملت على تكريس ثقافة استعمارية، وظل هذا الفكر ســـائد ولفترة طويلة، وبعد الاســـتقلال عرف المجتمع الجزائري تحولات عميقة، اجتماعية، وثقافية، سياسية واقتصادية، أدت إلى محاولة تجسيد أفكار تفسـر التحول، غير أنها اتسـمت بالتذبذب بين انتاج محلي ضعيف مقارنة بالواقع الاجتماعي وبين إنتاج غربي منقول لا يجسـد خصـوصـية المجتمع والتغيرات الاجتماعية لا ســيما في العقد الأخير والتي عرفت حركات اجتماعية تنذر بخلل في الأنســاق الاجتماعية تستوجب التحليل والتمحيص.

ومن خلال هذا الطرح نبدأ محاضراتنا في هذا المقياس **علم الاجتماع في الجزائر** في طرح التساؤل الرئيسي الذي مفاده :ما هو واقع علم الاجتماع في الجزائر قبل و بعد الاسـتعمار ؟ وما مدى مسـايرته للأحداث الاجتماعية على الصعيد الإقليمي؟. ومن هم أهم السوسيولوجيون البارزين على الساحة الجامعية الجزائرية ؟

المحور الأول: مدخل تمهيدي لعلم الاجتماع بالوطن العربي

المحاضرة الأولى: علم الاجتماع وأزمته بالوطن العربي

1- مفهوم علم الاجتماع

2- سوسيولوجيا الوطن العربي

3- آراء السوسيولوجين العرب حول واقع علم الاجتماع بالوطن العربي

4- أسباب أزمة علم الاجتماع في الوطن العربي

5- الحلول الممكنة لتطوير علم الاجتماع في الوطن العربي

يجمع المفكرون الســـوســـيولوجيون بمختلف مشـــاربهم وتوجهاتهم الإيديولوجية على أن نظريات علم الاجتماع جاءت كرد فعل لمشـــكلة النظام في المجتمع وبالتالي فهي مرتبطة بالواقع الاجتماعي الذي تفســـره، لان النظرية ماهي إلا مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي التي نشأت فيه، غير أن التنظير للواقع ينطلق من مسلمات النظام العام والذي يكون مرتبط بالتوجهات الأيديولوجية، ولا يخفى على أحد أن النظريات التي تدرس في جامعاتنا هي في الحقيقة ما أنتجه الغرب في بيئتهم واســتوردناها بفعل مقصــود أو غيره لتفســير الواقع الاجتماعي، وبالرغم من التراث الفكري التي تحويه هذه النظريات إلا اننا لا نستطيع أن نسقطها على واقعنا الاجتماعي.

وفي هذا السياق يقول مصطفى ناجي أن ظهور علم الاجتماع في العالم العربي لم يكن نتيجة تلبية لحاجة مجتمعية معينة ولكنه كان تقليداً للنظام الأكاديمي الغربي ...الخ" [1]وقد أدى ذلك إلى فترة محاكاة وتقليد للدراســات الغربية دون ابتكار أو أدنى تجديد.

فعلم الاجتماع في العالم العربي لا زال لم ينل الاعتراف الكامل كمجال معرفي خاص يســـعى لحل مشـــكلاتها المتفاقمة[2]

فقضايا العنف بشتى أنواعها وصراع القيم، وظهور الحركات الاجتماعية في معظم البلدان العربية وما أنتجته من اضطرابات داخلية عجزت الدراســات الاســتشــرافية اســتقراء الواقع والتنبؤ به، بســبب انفصــالها عن المجتمع وعدم قدرتها على إدراك إمكانيات التغير الكامنة، في هذا الســياق ســوف تعرج محاضــراتنا لنحاول من خلالها ابراز دور علم الاجتماع في دراســته للواقع الممارسة السوسيولوجية في الوطن العربي بوجه عام ثم الجزائر على الخصوص وذلك في ظل التغيرات الراهنة.

1- مفهوم علم الاجتماع.

يعرفه أنتوني غيدنز " ANTONU Geddns في كتابه " علم الاجتماع " على أنه " العلم الذي يعنى بدراسة لحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية، إنه مشروع شديد التعقيد لان موضــوعه الأســاســي هو ســلوكنا ككائنات اجتماعية، يتراوح بين اللقاءات العابرة بين الأفراد في الشــارع من جهة واستقطاب العمليات الاجتماعية العالمية من جهة أخرى"[3]

ويعرفه عاطف غيث على أنه " المصطلح الذي يطلق على أي نوع من الدراسة تهتم بالإنسان والمجتمع إلا أن المصطلح بمعناه الدقيق يشير إلى تطبيق المناهج العلمية لدراسة شبكة العلاقات الاجتماعية المعقدة وصور التنظيم التي تمكن الأفراد من العيش معا في المجتمع"[4]

أما تعريف " تيدوركابلو " الذي يعرفه ب " الدراسة العلمية للعلاقات الإنسانية وتداعياتها" في حين يعرفه كل من " **أوخبرن و نيمكون "** على أنه " الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية" أما " **بترمين سوروكين** " فيعرفه على أنه " دراسة الخصائص العامة والمشتركة بين كل أنواع الظواهر الاجتماعية"[5]

ويمكن تخصيصه في سياق حضاري آخر كما عرفه " **ابن خلدون** " على أنه " دراسة العمران البشري والاجتماع الإنساني"

من الصعب إيجاد تعريف جامع مانع لعلم الاجتماع ولا يمكن حصر موضوعاته لاتساع مجاله المعرفي إلا أننا يمكن القول أنه **العلم الذي يختص بدراسة كل ماله علاقة بالمجتمعات الإنسانية.**

2- سوسيولوجيا الوطن العربي:

إن الدارس لواقع الممارسة السوسيولوجية في العالم العربي يستشف من الوهلة الأولى أن هذا العلم بدأ بولادة مشوهة له، باغتراب العلماء العرب عن واقع مجتمعهم وانغماسهم في النقل عن الغرب، فكانت التبعية الغربية هي المسيطرة، إنها نشأت بمفهومها الغالب كما يسميه " فضيل دليو " بقوله " لقد ترعرع علم الاجتماع في بيئة الإنسان الغالب بمفهومه (الحضاري وليس الجغرافي) وأن الإطار المعرفي لهذا الأخير هو السائد والمهيمن في الفكر والبحث دون غيره من أطر الحضارات الأخرى[6]"

وتعود هذه التبعية إلى الحقبة الاستعمارية كون جل البلدان العربية كانت تحت وطأة الاستعمار الغربي لهذا فجل المحاولات التنظيرية ذات صبغة غربية ومرتبطة أشد الارتباط بالمجتمعات الغربية ومعبرة عن خصوصياتها ومشكلاتها الاجتماعية، بالرغم من أن هذه النظريات تتعرض في مهدها إلى انتقادات حادة كونها لم تعد قادرة على استيعاب التغيرات في الواقع الاجتماعي، والسبب في اذلك يعود إلى الارتباط التاريخي والتمثلات الاجتماعية للباحث العربي الذي وجد في المجتمع الآخر رصيد نظري لا يستهان به بالإضافة إلى حداثة هذا العلم في جانبه المنهجي العلمي والذي لا تتجاوز مدة دراسته في الجامعات العربية خمسة عقود من الزمن، فأغلب النظريات المتداولة على الصعيد العربي هي إفراز الفكر العلمي الغربي في زمن أحوج ما تكون الساحة العربية فيه لبديل يتناول الواقع العربي بكل خصوصياته وتجلياته[7] .

إن معظم النظريات الغربية المهيمنة على التراث النظري والطرق المنهجية للبحث لها سياقاتها الاجتماعية والفكرية والأيديولوجية الخاصة بها فالعلوم الاجتماعية الغربية المهيمنة نابعة من حضارة مختلفة المرجعية والأسس العقائدية وقد هيمنت النظريات الغربية بفعل التقدم التكنولوجي والمرجعية التاريخية ذات الطابع الاستعماري والتي تخلف تبعية كما

سـبق الذكر وهذا ما قصـده " ابن خلدون بقوله " " أن المغلوب مولع بتقليد الغالب " ومن هذا المنطلق يمكن القول بصـعوبة تعميم النظريات والقوانين الاجتماعية وهذا لغياب الصـدق الامبريقي وإهمال الخصـوصـية، رغم كون المنظومة المعرفية الغربية تدعي الحيادية والموضوعية لإضفاء صبغة العلمية[8] .

وبقي الجهد الفكري في ميدان العلوم الاجتماعية منحصـر بين التجربة والاقتباس والمحاكاة، دون أن يتجاوز ذلك إلى مرحلة الفكر الذاتي في ضوء خصوصيات المجتمع العربي، وتركز اهتمام الباحثين والعلماء على قضايا قد تكون ذات أهمية في بلادها الأصلية بينما تفتقر إلى الأهمية في مجتمعاتنا العربية.

بالإضافة إلى الواقع السوسيولوجي في العالم العربي الذي يعيش أوضاع متأزمة، وإننا نتفق مع" حجازي" بقوله أن الأزمة الحقيقية ليسـت في علم الاجتماع ذاته بل في القائمين عليه والقضـايا الاجتماعية التي تدرسـها وسـائل الإعلام، علاوة على إهمال الدول العربية لهذا العلم التي ترى فيه أنه لا يمثل قيمة للمجتمع وأن البحث في مجاله يتصف بالأوضاع الهشة ويضـيف " حجازي " بقوله " : أ ن علم الاجتماع في الدول العربية أصـابه الفقر النظري والعقم في الإنتاج العلمي وانفصاله عن مجتمعاتنا، وجهل العلماء العرب من نقد النظريات الأجنبية وحساسية المثقف بالسلطة[9] .

كما أنه لا يشكل أولوية سياسية لهذه الدول ولا ترصد له الإمكانات المادية اللازمة، فقد ورد أن ما ينفقه العالم العربي في مجال البحث العلمي لا يتعدى 4 دولارات سنويا في مقابل 930 دولارا في أمريكا و 972 دولارا في إسرائيل، وما يقارب 950 دولارا في أوروبا، وأن ما يتم إنفاقه في 22 دولة عربية مجتمعة على البحث جاء في تقرير المعرفة العربي لسنة 2011 أن نصيب المواطن العربي من إصدارات الكتب يشكل % 04 من نصيب المواطن الانجليزي و % 05 من نصيب المواطن الإسباني[10] .

في حين ينصب الاهتمام بالدرجة الأولى على مشاريع البحث في مجال العلوم التجريبية أو ما يسمى باستيراد التكنولوجيا وهو ما يدخل في إطار السـياسـة العامة للسـلطات، ولقد ورد في تقرير الأمم المتحدة للتنمية البشـرية لسـنة 2003 أن العالم العربي يمثل % 05 من سـكان العالم لكنه ينتج فقط % 1.1 من الكتب العلمية والثقافية، [11]وعلى الرغم من ذلك فإن الدراسات الاجتماعية العربية ليست بالواقع المظلم لأن هناك محاولات من داخل المجتمعات العربية قصد إيجاد مدخل نظري خاص ولكنه يبقى مرتبط بالسـياق العام لعلم الاجتماع أي أن يكون منسـقا معه، وتبقى هذه المحاولات معزولة وغير مسـتمرة، فظهرت بعض الإسـهامات من أجل توطين أي تأصـيل أو أسـلمة علم الاجتماع العربي، وقد

طالب مؤيدو هذا المدخل الجديد بضرورة إصلاح العلوم الاجتماعية وإعادة صياغتها في ضوء التصور المنهجي الإسلامي الذي يبقى الذخيرة المعرفية التي يستوجب على الباحثين تحليل وتمحيص المدخل وإسقاطه على الواقع المعاش.

3- آراء السوسيولوجين العرب حول واقع علم الاجتماع بالوطن العربي:

سوف نعالج من خلال هذا العنوان مجموعة من آراء سوسيولوجين عرب ونذكر منهم:[12]

يقول بهذا الصدد **عزت حجازي**: "إننا لا ننتج علمـا حقيقيـا، وإنمـا نستورد ونستهلك دون تبصر، ونخلط في ذلك بين ما يمكن أن يفيد وما لا غناء فيه"

ويقول أيضاً: " لقد بلغ اعتماد بعض المشتغلين بعلم الاجتماع في الوطن العربي على علم الاجتماع الغربـــي المثـــالي والأمريكي بخاصة، سواء في مرحلة إعدادهم الأكاديمي أو في مرحلة ممارستهم لنشاطهم فـي التـدريس والبحـث والكتابة حد التوحد معه لا عن تقدير موضوعي لقيمته وإنما عن شعور بالنقص حياله"

أما علي الكنز فيرى أنه "إذا أردنا تقويم الممارسات السوسيولوجية الحالية في بلادنا أمكننا وصفها بتبعيتهـــا الأساسية للسـوسـيولوجيا الغربية ... تأخذ هذه التبعية أشـكال التكرار والتقليد، أكان هذا التقليد واعيا أو غير واع، مما يؤدي إلى انعكاس وانحراف في قضايا ومشكلات العالم الغربي داخل البنى الثقافية والاجتماعية لعالمنا"..."

ويواصـل علي الكنز معترفا " إن النتائج التي توصـلت إليها النظريات الغربية غير ملائمة لبيئتنا، كونها جردت من إطارها الاجتماعي والتاريخي وانفصـلت عن مسـار تكوينها... فكل النظريات الغربية قد نتجت عـــن مجتمعاتهـــا وقضـايـاها الاجتماعية والتاريخية، والحقل المعرفي الذي نمت بداخله وطورت قضاياها المحددة. ويكمن خطأ علمـــاء الاجتماع العرب في اعتقادهم أنه من الممكن اسـتيراد نظريات الغرب بغض النظر عن ارتباطها بهذين العاملين خطـــأ فادح يمكن اعتباره التباسا تاريخيا حقيقيا"

أما **عبد القادر عرابي** فيقر: "لا يخفى على العاملين في الحقل الاجتماعي أن علم الاجتماع العربي كان ومازال دون آفاق مجتمعية، مازال غريبا وبعيدا عن المجتمع لأنه لم يولد من رحم هذا المجتمع ولم تصلب عوده الثقافة العربية، ولم تكون هويته الفكرية"

إن القراءة البسـيطة لهذه الاعترافات التي أدلى بها مختصـون في علم الاجتماع – تدريسـا وممارسـة وبحثا- توحي بأن علم الاجتماع العربي يعاني من إشكالية النشأة والتكون خارج السياق التـاريخي والمجتمعـي للمجتمـع العربـي، وبالتالي

غياب المرجعية المجتمعية على اعتبار أن المجتمع وظواهره والفواعل فيه وسلوكياتهم وغيرها هي المواضيع الرئيسة لعلم الاجتماع

كذلك نشير بهذا الصدد إلى ما جاء به الأستاذ المرحوم **الدكتور علي الوردي –أستاذ علم الاجتماع العراقي** – عندما التفت إلى كون علم الاجتماع هو وليد بيئته ومجتمعه وتراثه وتاريخه الخاص، والذي له منتجات ومشاكل وتصورات وتراكيب اجتماعية تختلف حسب اختلاف هوية الأمة ومرتكزاتها القومية لهذا الشعب أو ذاك، حيث يؤكد على أننا بحاجة إلى علم اجتماع خاص بنا يستمد إطاره من تراثنا الاجتماعي وواقعنا

إن هذه الاعترافات لهؤلاء المختصين العرب في علم الاجتماع تؤكد غياب طرح سوسيولوجي عربي شرعي يعبر عن العقل العربي، وعن هموم الإنسان العربي، بينما يحضر طرح سوسيولوجي غربي يعبر مضمونا ومنهجا عن تجربة المجتمعات الغربية في حقبة زمنية معينة

4– أسباب أزمة علم الاجتماع في الوطن العربي

ليس صحيحا أن أن أزمة علم الاجتماع في بلداننا العربية والإسلامية هي صدى أو امتداد لأزمة علم الاجتماع في العالم الغربي، بل انها ترجع في حقيقة الأمر إلى شرعية وجود علم الاجتماع والاعتراف به من جهة، ومن جهة أخرى بسبب اقتصار ممارسة علم الاجتماع على الصعيد النظري وفقط واهمال الجانب الميداني التطبيقي وذلك لاسباب نذكر منها:[13]

- يقول العالم الفرنسي ريمون آرون :" إن أشد مايفتقر إليه علم الاجتماع الفرنسي هم علماء الاجتماع أنفسهم،" أما ما نلاحظه اليوم على الساحة العربية والإسلامية فهو العكس من ذلك تماماً فأشد مانفتقر إليه هو علم الاجتماع في حذ ذاته.
- عدم ربط الجامعة ومراكز البحث العلمي بالمجتمع بالبلدان العربية والإسلامية لاسباب عديدة أهمها الأسباب السياسية، أما في الجامعات الغربية فالحال يختلف عما يجري في مجتمعاتنا، حيث يقوم علماء الاجتماع والانثروبولوجيا، باجراء البحوث والدراسات حول العديد من القضايا والمشاكل الاجتماعية التي تلامسالواقع الغربي كمشكلة البطالة والجريمة، وتعاطي المخدرات ..الخ فضلا عن تحليل مظاهرها والمتغيرات الفاعلة فيها، بلاضافة إلى اقتراح حلول ممكنة لمعالجتها ليتم بعد ذلك معالجتها على نطاق علني جماهيري واسع
- التبعية الثقافية للبلدان العربية الإسلامية للدول الصناعية المتطورة، خاصة ما تعلق بالسوسيولوجيا التي نشأت أصلا في أحضان الثورة الصناعية في أوروبا.

- الهيمنة الفكرية الغربية بحيث يعتمد الكثير من الســوســيولوجين في علم الاجتماع العربي على النظريات ومفاهيم غربيـة دون تكييفهـا مع الواقع الاجتمـاعي العربي، وهـذا التبني الأعمى للنظريـات الغربيـة يؤدي إلى تهميش السياقات الثقافية والاجتماعية المحلية
- قلة التمويـل والمنح البحثيـة يفتقر علم الاجتمـاع في الوطن العربي إلى التمويـل الكـافي والمنح البحثيـة التي تتيح للباحثين بالقيام بأبحاث ميدانية وتحليلية متقدمة.
- ضـــعف البنية التحتية البحثية: تفتقر العديد من الجامعات والمراكز البحثية اللازمة مثل المكتبات المخابر ، التقنيات الحديثة.
- قلة التفاعل مع المجتمع: يفتقر علم الاجتماع بالوطن العربي الى التفاعل الكافي مع المجتمعوالمختصــين في مجالات أخرى مما يحد من قدرة الباحثين على تطبيق النظريات والمفاهيم الاجتماعية على الواقع المجتمعي

5- الحلول الممكنة لتطوير علم الاجتماع في الوطن العربي:[14]

- تعزيز التمويل والمنح البحثية
- تحسين البنية التحتية البحثية
- تعزيز التفاعل مع المجتمع
- تحسين السياسات التعليمية

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

[1] – مصـطفى ناجي، علم الاجتماع في الوطن العربي بين المحلية والدولية، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 15، العدد 02 1987، ص181

[2] – عبد العالي دبلة، مدخل إلى علم التحليل السوسيولوجي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص05

[3] – انتوني غيدنز، علم الاجتماع ،ترجمة فايز الصـــياع، ط5، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراســـات الوحدة العربية،2005 ص17

[4] – عاطف غيث، دراسـات في تاريخ التفكير واتجاهات التنظير في علم الاجتماع، بيروت، دار النهضـة العربية، 1975 ص438

[5] – عبد الله محمد عبد الرحمان، علم الاجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2003، ص38

[6] – فضـيل ذليو، علم الاجتماع المعاصـر بين العالمية والخصـوصـية، موقع الشـباب للإعلام، مقال منشـور على موقع: www.chabab .net/modules ، الزيارة بتاريخ 21/ 2025/01 على الساعة 13:00 .

[7] – محمود عرابي، تأثير العولمة على ثقافة الشباب، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006، ص 33

[8] – فضيل ذليو، علم الاجتماع المعاصر، ثنائية النظرية والمنهجية، مؤسسة زهراء، قسنطينة، 2001، ص 26

[9] – أحمد مجدي حجازي :علم الاجتماع مشـوه في الوطن العربي ولا يمثل قيمة للحكومات، مقال منشـور في جريدة البديل، الجمهورية العربية المصرية، تم استخراجه من الموقع Elbadil.com بتاريخ: 2025/01/21 .

[10] – صـــافر كريمة، رجماني نعيمة: مجتمع المعرفة والبحث العلمي، دار ابن بطوطة للنشـــر والتوزيع، ط1 ، الأردن، 2013، ص39

[11] – أحمد مجدي حجازي، مرجع سبق ذكره.

12 – ســـهى حمزاوي، ســـامية كواشـــي، إشـــكالية علم الاجتماع بالوطن العربي، قراءة تحليلية لاعترافات بعض علماء الاجتماع العرب، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 28، مارس 2017، ص 93-94

13 – بوخريســـة بوبكر، الســـوســـيولوجيا المغاربية بين التركة الكولونيالية ورحلة البحث عن الهوية، المجلة العربية لعلم الاجتماع، الجمعية العربية لعلم الاجتماع المجلد / العدد 15، 2011، ص 113

14 – محمد عبد الله العروي، علم الاجتماع في الوطن العربي، دار النهضة العربية، ط1 ، 145

المحور الثاني : السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر (إبان الحقبة الاستعمارية للجزائر: إسهامات مؤرخون، أدباء وعلماء اجتماع)

المحاضرة: الثانية:ماهية السوسيولوجيـا الكولـونياليـة بـالجزائر

1- مفهوم السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر

2- تاريخ السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر

3- أهداف السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر

1- مفهوم السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر:

نقصد بالسوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر" تلك الدراسات والاعمال التي أجريت خلال المرحلة الاستعمارية و التي عملت على دراسة المجتمع الجزائري و التنقيب في بنياته الاجتماعية و الثقافية والاقتصادية والسيسيولوجيا

وتنقسم السوسيولوجيا الكولونيالية إلى نوعين " رسمي " خطط له أصحابه من وزارة الحربية وكان هؤلاء الباحثون عبارة عن عساكر ومرتزقة جندوا لخدمة المشروع الكولونيالي أما بالنسبة للنوع الثاني يمكن تسميته بالسوسيولوجيا المحايدة neutre ذات النزعة الاكاديمية والأكاديمية.[1]

كما يمكن القول أيضاً أنها تلك الدراسات والأبحاث التي أجريت خلال المرحلة الاستعمارية في الجزائر والتي سماها جمال معتوق بالسوسيولوجيا الكولونيالية، موضوعها دراسة المجتمع الجزائري ومعرفة الميكانيزمات التي تتحكم في البنى الاجتماعية والثقافية قصد خدمة أهداف استعمارية[2]

ولم تقتصر الدراسة السوسيولوجية الكولونيالية على الجزائر فحسب بل امتدت إلى شمال إفريقيا والمجتمعات المغاربية على الأخص، ولقد شكلت مقاربة جديدة في ربوع البلدان المغاربية ،فالإرث السوسيولوجي يكشف لنا اقتران ظهور البوادر والإرهاصات الأولى للسوسيولوجيا الكولونيالية في مهد أطماع المستعمر الذي رصد مجمل الظواهر الاجتماعية على جميع المستويات بما في ذلك الروابط الاجتماعية والأسرية والقبلية.

2- تاريخ السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر

بدأت السوسيولوجيا الاستعمارية تمارس مهامها في الجزائر عام 1833 ،و هو تاريخ تشكيل لجنة الاستكشاف العلمية للجزائر بإشراف وزارة الحرب الفرنسية.

لقد جاءت ضرورة تشكيل هذه اللجنة بعد المحاولات العديدة الفاشلة للاستيلاء على بعض المناطق عن طريق القوة العسكرية، وكان يسود مخيلة الغازي الفرنسي للبلاد الجزائرية أنه في رحلة سياحية "... **فالجزائر لا وجود لها إلا في مخيلة الغازي و على نحو أكثر ابتذالا لا توجد إلا بوصفها قطرا تركيا جديرا بأن يستولى عليه ...ما كان يعرف عن هذه الأرض الواقعة في المغرب الأوسط تافه لا يعتد به ،فأولئك الذين استولوا عليها كانوا على جهل مطبق بخصمهم ...**" [3]

لكن ماذا وجدوا ؟ "**لقد فرضت المقاومات المسلحة و محاولات الأمير عبد القادر لبناء دولة حقيقية و حركات المعارضة المتكررة و ضرورة الاستيلاء على فضاءات اكبر تغيير التصور او الرؤية ،فالجيش الاستعماري بحاجة إلى معرفة الذي يحارب و لهذا وطن نفسه على معرفة المناطق التي أبدت مقاومة شديدة معرفة جمة، حينئد أخذت الدراسات الإثنوغرافية العسكرية في التطور و التنامي وهي أمر استراتيجي**"[4]

لجنة الاكتشاف العلمي للجزائر بوضع دليل إحصائي حول الجزائر كافة اشتمل على 17 مجلدا ، وقسمت الجزائر بمقتضى النتائج المتوصل إليها إلى ثلاث مقاطعات هي : الجزائر ،قسنطينة ،وهران ،و هو الأمر الذي يوضح بجلاء

العلاقة الوطيدة بين علم الاجتماع والمصالح الاستعمارية .هكذا اقتنعت فرنسا أن القوة العسكرية وحدها غير قادرة على الاستيلاء على الجزائر و أنه خصم لا يستهان به؛ لذلك لابد من توظيف العلم لفهم قوة ترابط وتماسك أفراده" **بعد مرور عقد من الزمن على نزول الجيوش ، وبعد ان تم اختيار توسع عسكري بعينه ،أقدمت الحكومة على تحر واسع النطاق ، وقد تم جمع معطيات في قرابة أربعين مجلدا بين 1844 و 1867، و قد اضطلع العسكريون بنصيبهم في هذا التحري ، وكان على رأسهم كاريس و بوليسيي، وقد استدعيت التخصصات والعلوم كالتاريخ و الجغرافيا و العلوم الطبية و الفزيائية و الحفريات لكي توفر نظرة أمنية ما أمكن عن الآخر أي هذا العربي أو البربري بما أنهم ينكرون عليه أي تسمية أخرى** "[5]

أما مرحلة السوسيولوجيا الاستعمارية الرسمية في الجزائر فكانت سنة 1958 وهذه الفترة مبهمة لا نعرف عنها الكثير كما يقول الباحث جمال معتوق فالفترة الممتدة ما بين 1958 إلى غاية 1963 هي من الحلقات المفقودة و التي لا

نعرف عنها الكثير خاصة من حيث الجانب الإداري المؤسساتي و يرجع ذلك إلى:[6]

- المستعمر في هذه المرحلة كان شغله الشاغل جمع المادة السوسيولوجية و هذا خدمة للمشروع الكولونيالي ، ولم يهمه مثلا إعداد أرشيف خاص بهذه الممارسة،كما يمكن القول بأنه في حالة وجود أرشيف حول فرع علم الاجتماع بجامعة الجزائر فإن المستعمر غداة الاستقلال عمل على إتلافه و نهبه وسرقته كما فعل مع باقي المصادر و الارشيف التاريخي للمجتمع الجزائري.

- الطلبة الجزائريين– و المتمثلين في الجيل الأول للسوسيولوجيين – لم يقوموا بدورهم التاريخي و المتمثل في الكتابة حول المسيرة السوسيولوجية عندنا.

3- أهداف السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر

- كما قلنا سابقا لقد ارتبط وجود السوسيولوجيا في الجزائر بوجود الإستدمار الفرنسي ومن ثم يعتبر علم الاجتماع خلال المرحلة الكولونيالية علم سخر لخدمة الايديولوجية الكولونيالية وهذا على حساب الاهالي كونه لم يكن في هذه الفترة مطلب جزائري بل سلاحا في يد المستعمر و تقنية من بين تقنيات الكشف والتعرية لخبايا المجتمع الجزائري".[7]
- لقد فشلت المحاولات الاستدمارية في تفكيك مختلف الروابط التي جعلت من الجزائريين رجل واحد وقف كجدار صلب في وجه كبريات الدول الاستدمارية والقوى العظمى، فلم يجد للوصول الى مبتغاه إلا العلم كمصدر للحكم والنفوذ ونكتشف هذا من خلال ما صرح به ريني موني R . Maunier، في قوله في كتابه علم الاجتماع الأهلي:" **إن لنا مصلحة نظرية وتطبيقية لنتعرف على حياة الشعوب الجزائرية، نظرية أولا لأنه من حقنا و من واجبنا نحن الفرنسيين أن نعرف و نفهم جميع الشعوب التي نحميها و نذير شؤونها و لا نتوقف أبدا عن القيام بالواجب نحوها ... و لنا في تنظيم الدراسات من غايات مادية وتطبيقية باعتبار أن العلم مصدر للنفوذ و الحكم**[8]"
- بالرغم من الصيغة المنمقة التي تجلت بها هذه الاسطر إلا أن هذا الغطاء لم يستر كل ما اراده موني إن الايديولوجيا الاستعمارية للسوسيولوجيا في الجزائر كانت واضحة كل الوضوح" ذلك ان المستعمر قد حاول أن يعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية في الجزائر وفق تطور الرأسمالية الاوربية وتحقيقا لأغراضها ، و قد كان يملك الوسائل الكافية للقيام بهذه المهمة ،بما في ذلك المعرفة السوسيولوجية ، و قوة السلاح و مركز السلطة[9]

كما يمكن تحديد أهداف السوسيولوجيا الكولونيالية في الجزائر من خلال النقاط التالية:[10]

- كانت تهدف للتوسع الاستيطاني.
- أنصت أغلب الدراسات الاجتماعية في كتب خصت الد راسات الميدانية لإعداد شهادات جامعية (دكتوراه) وهناك العديد من المشترقين منهم من شوه الحقائق.

- الكتابة عن الأهالي، عاداتهم وتقاليدهم والعلاقات الاجتماعية، والقيام بإحصاءات و كانت كتاباتهم محاولة لتأكيد على التفوق الغربي الفرنسي على الجزائري البربري المتخلف فهي غير موضوعية و قليل منها يمكن تسميته بالبحث العلمي.
- يقول الطاهر لبيب في مقاله عن مسيرة علم اجتماع في تونس": المغرب العربي قد مثل موضوعا سوسيولوجيا مبجلا"فهي منطقة للتجارب و الدراسات لخدمة المروع الفرنسي الاستعماري و كشف نقاط و أعمال هذه المجتمعات لفهمها و السيطرة عليها.

قائمة المراجع المعتمدة:

[1] - جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا ،ط 1 ،دون دار نشر، 2006، ص 33

[2] – جمال معتوق، السوسيولوجيا الكولونيالية من أجل قراء نقدية جديدة، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، العدد 1 البليدة 2001 ص07

[3] – فيليب لوكا و جون كلود فاتان ، جزائر الانتروبولوجيين نقد السوسيولوجيا الكولونيالية ،ترجمة: محمد يحياتين وبشير بولفراق ، منشورات الذكرى الاربعين للاستقلال، ص07

[4] – نفس المرجع، ص 9

[5] – نفس المرجع، ص 09

[6] – جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا، مرجع سابق، ص 79

[7] – جمال معتوق، السوسيولوجيا الكولونيالية من أجل قراءة نقدية جديدة، مرجع سابق، ص 81

[8] – محمد نجيب بوطالب :صورة العربي الاخر ناظر و منظور إليه ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط01 1990،ص43

[9] – –محمد حاافظ دياب: علم الاجتماع في الجزائر الهوية و السؤال، مجلة المستقبل العربي، العدد 134 ،بيروت ،لبنان ، 1990 ، ص86.

[10] – جمال معتوق :لمحة تاريخية عن الممارسة السوسيولوجية في الجزائر حالة معهد علم الاجتماع بالعاصمة الدفاتر الجزائرية لعلم الاجتماع، مجلة البحث السوسيولوجي، العدد 01، 2000، ص 52

المحـــاضرة: الثالثة:

الســـوسيـولوجيـون الكولونياليون بالجــزائـــــر

إن الإرث السـوسـيولوجي يكشـف لنا اقتران ظهور البوادر والإرهاصـات الأولى للسـوسـيولوجيا الكولونيالية في مهد أطماع المستعمر الذي رصـد مجمل الظواهر الاجتماعية على جميع المسـتويات بما في ذلك الروابط الاجتماعية والأسرية والقبلية.

فمدة الاستيطان التي تتجاوز قرن في الجزائر ساعد المستعمر على تحصيل معرفي كمي ونوعي تجسد في الأبحاث والدراســات التي أنجزتها البعثات العلمية لبعض الرحلات والقادة العســكريين والســوسـيولوجيين، ولقد مكن الاحتلال إلى تطوير وتعميق معرفته بالبلدان المجاورة (البلدان المغاربية) من خلال المعطيات المستخلصة من طرف المؤرخين والسوسيولوجيين لتكوين جهاز نظري عن المنطقة ككل واستخلاص نتائج تم استغلالها عن طريق زرع الأفكار الهدامة التي تقول أن الجيش الفرنسـي لا يقهر ونشـر مفاهيم حول البدع والخرافات وتجسـيد سـياسـة التجهيل والتعصب للعائلة والقبيلة[1]

إن الذين كتبوا عن المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية كثيرون جدا قسمهم الباحث الاستاذ الدكتور جمال معتوق إلى مايلي:[2]

- **النوع الاول:** و يضـم الفضـوليين و هم أناس لا علاقة لهم بعلم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية بشكل عام كانت الكتابة عندهم بمثابة تسـلية أو تجنيدا أو تطوعا لخدمة المشـروع الكولونيالي ومنهم أطباء ، سواح ،تجار أناس بدون أية حرفة و غيرهم.
- **النوع الثاني:** و يشـمل العسـاكر (لجنود و الضـباط)، وخاصـة الضـباط من الرتب العليا، ومعظم كتاباتهم هي محاولة لتأكيد تفوق الغربي الفرنسـي على الجزائري البربري المتخلف ،ويشـكل هذا النوع أكبر عدد من الذين كتبوا حول مختلف المواضـيع الاجتماعية، الثقافية و الدينية في الجزائر و نصـبوا انفسهم بالمختصين في المسألة الجزائرية . و ما يميز أغلب هذه الدراسات هو طغيان الذاتية و العنصرية ،ونسبة قليلة منها ترقى إلى مستوى البحث العلمي.
- **النوع الثالث:** و يمكن تقسيمه بدوره إلى ثلاث مجموعات:

أ- تضـم أصـحاب الاتجاه الأكاديمي الذي كان مبتعدا عن علم الاجتماع الرسمي الكولونيالي و أقرب إلى الخطاب الاســتشــراقي ، و من بين هؤلاء نجد: **شـــارل اندري جوليان jean) (dritz**بالإضافة إلى **لوكور(le cour) وجاك بيرك (j.berque)** و غيرهم ، الذين جعلوا

من الجزائر حقلا لدراساتهم الميدانية فأغلبيتهم قاموا بهذه الدراسات في إطار إعداد بعض الشهادات الجامعية كالدكتوراه

ب- وتضـم كل الباحثين السـوسـيولوجيين الذين كانت دراسـاتهم ذات إيديولوجية اسـتعمارية، هدفت بكل الوسائل و الطرق إلى تزييف الحقائق و نشر الاباطيل كما سنرى ذلك لاحقا.

ت- و تظم كل الباحثين السوسيولوجيين ذوي الابحاث العلمية الجادة عن الجزائر.

ويمكن أن نجمل كل من ساهم في الكتابة السوسيولوجية خلال الفترة الاستدمارية الفرنسية للجزائر في : (جنود ، ضـباط ، رجال آداب ، روائيون، رجال الدين ، فلسـفة ،جغرافيون وغيرهم... ،من التخصـصـات الأخرى ، طلبة وباحثون ،أطباء، بدون اي مهنة، مجرد فضوليين... إلخ).

كان الباحثين الفرنسيين يعتمدون على د راسات و أبحاث تخص مجال الاثنوغرافيا والانثروبولوجيا ودراسة المجتمع الجزائري من حيث العادات و التقاليد و كيفية التغلغل في قيم و ديانة هذا المجتمع للقضـاء على هويته وقوميته.

وبالتالي يمكن القول أن من أهم الباحثين في هذا الحقل[3]:

جان دريتس J.Dritz و شـارل أندري جوليان J.A.Julien و لوكور Le coeur و جاك بيرك J.Perque، فهم كانوا من حيث تخصصاتهم يهدفون الى تخطيط لمشروع كولونيالي و آخرين ذات هدف انساني اجتماعي كأعمال **جاك بيرك**.

وهنا يمكن التقسيم العام للبحوث السوسيولجية في هذه الفترة الى أبحاث تنحصر حول أوضاع الجزائر التي قسمت الجزائر الى ثلاث مقاطعات :الجزائر-وهران-قسـنطينة من خلال "لجنة اكتشـاف الجزائر العلمي " وقسـم من البحوث يعمل على معرفة العلاقات الاجتماعية لبسـط نفوذ الاسـتعمار بعد فهم المجتمع الجزائري (كالزوايا ...)من نتائج ذلك[4]:

- جمع بين الهدف الاستعماري والممارسة السوسيولوجية.
- استخدام الواقع الاجتماعي لمواجهة الشعب بسلاحه وباستراتيجية علمية.
- جمع نحو 40 مجلدا عن الواقع الاجتماعي للشعب الجزائري 1867/1844
- أغلب الدراسات كان يطغى عليها التحليل الاثنولوجي و الأثنوغرافي و الأنثروبولوجي.
- تضمنت البحوث الاستعمارية مغالط وتشويه للواقع الاجتماعي.

- تضمنت د راسات حول السكان: قبائل عرب، ونوع العادات، والطقوس والممارسة الدينية.

الدينية.

قائمة المراجع المعتمدة:

1 – الســـوســـيولوجيا الكولونيالية من الموقع، http://sociologiennek.blogspot.com بتاريخ: 2025/01/24 ، على الساعة: 20:00.

[2] – جمال معتوق: علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا ،ط 1 ، دون دار نشر2006، ،ص33

[3] – معتوق جمال :لمحة تاريخية عن الممارسة السوسيولوجية في الجزائر، حالة معهد علم، الاجتماع بالعاصمة ، الدفاتير الجزائرية لعلم الاجتماع، مجلة البحث السوسيولوجي، العدد6 ،2000

[4] – المرجع نفسه.

المحاضرة الرابعة: الكتابات الأجنبية في العهد الاستعماري الفرنسي

1- مفهوم الكتابات الأجنبية في العهد الاستعماري الفرنسي
2- أصناف الكتابات الأجنبية في العهد الاستعماري الفرنسي
   - كتابات الضباط العسكريين
   - كتابات الرحالة
   - كتابات الأدباء
   - كتابات الشعراء
   - كتابات الرواة
3- أنواع الدراسات الاستعمارية:
   - الدراسة الشكلية
   - الدراسة الضمنية

1- مفهوم الكتابات الأجنبية في العهد الاستعماري الفرنسي

هي كل الكتابات التي تم تدوينها على الجزائر والأوضـاع السياسـة العسـكرية والاجتماعية والثقافية والحضـارية...في الفترة الاستعمارية "1830-1962" حيث ترجمت هذه الكتب لحقائق تاريخية يمكن الاستفادة منها.

2- أصناف الكتابات الأجنبية في العهد الاستعماري الفرنسي

- **كتابات الضباط العسكريين**

تناولو الضــابط في مؤلفاتهم الجزائر وتاريخها الاقتصــادي والســياســي والإداري والاجتماعي في الفترة الأولى من الاحتلال الفرنسـي،إذ اهتموا بالجانب الاجتماعي أكثر حيث أنهم عالجوا مواضـيع عن العادات والتقاليد الجزائرية ونجد هذه الكتب في المجلة الإفريقية مقالات وأخبار الجزائر حيث جمعت وترجمت فيما بعد.

- **كتابات الرحالة :**

وكانت من طرف المثقفين الفرنسيين الذين زاروا الجزائر فكان لهم نصيب بأن يكتبوا عليها في مذكراتهم

- **كتابات الأدباء**

وهم الذين كتبوا الجزائر حيث جلهم كان مبهور بجمال الجزائر "الصـــحراء"،فألفوا بعد ذلك كتاباتهم ومنها المشـهور"صـيف الصـحراء" ومؤلفات أخرى تصـف القصـبة بالجزائر العاصـمة تحت عنوان "القصـبة" وهناك أدباء آخرين أمثال" لويس بيرتراند و يوجين دوماس

- **كتابات الشعراء**

تناول الشـعراء قضـية الحملة الفرنسـية على الجزائر،إذ أنهم نقلوا بطولات أبطالهم ضـد العرب والمسـلمين وكانوا دائما يقدمون الدعم لجيشــهم دون شــيء آخر فقد ظلوا صــامتين عن أعمال الجيش الفرنســي التخريبية في الجزائر لكي لا يعرف الرأي العام الفرنســي طبيعة حملتهم على الجزائر، فكان من بين كتاباته وصفه للحملات والمعارك مع "الأمير عبد القادر"

- **كتابات الرواة**

كتب"هوقلورو" مثلا رواية تحت عنوان "رجل الســاعة" وهو يعني بها "الباشــا" "الحاج محمد المقراني" حيث تناول ثورة 1871 وشخصياتها بكل التفاصيل، وكانت روايات أخرى تسخر من رجال الدين الجزائريين ومن الثوار وأمّا إطار الرواية فكله جزائري.

أنواع الدراسات الاستعمارية:

- **الدراسة الشكلية:**

وهي الدراسـة التي كلفت لها خبراء ذوي كفاءة لإنجاز المهمة فقدموا شـرح شـامل عن الجانب الشـكلي لمثل هذه المؤسـسـات الإسـلامية وقد شملت دراسـتهم كل ما يتعلق بالزوايا والطرق الصـوفية من مريدين ومصـادر التمويل والرواد وغيرها.

- **الدراسة الضمنية:**

وهي الدراســة الدقيقة التي قام بها المكلفين بهذا العمل حيث عملوا إلى الولوج غلى جوهر المؤســســة ومعرفة كل نقطة سواء كانت كبيرة أو صغيرة والدراسات الضمنية جندت لها فرنسا أفراد متخصصين ربما نستطيع أن نطلق عليهم لفظ الجواسيس أي قامت بزرع رؤوس تابعة لها في المؤسسات في حد ذاته

قائمة المراجع المعتمدة:

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1.
2. أبو العيد دودو، الجزائر من خلال مؤلفات الرحالة الألمان، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

المحـــاضرة: الخـامسـة: نمـاذج لـدراسـات سـوسيــولوجيـة كـولونياليــة بــالجـزائـــر

1- دراسات حول الاسلام

2- دراسات حول المرأة

تناولت السوسيولوجيا الكولونيالية الفرنسية مواضيع مختلفة منها السياسية، الاقتصادية، الدينية، القانونية الثقافية وسنحاول في هذه المحاضرة عرض لبعض النماذج منها لنتعرف عن قرب كيف خدمت الايديولوجيا الكولونيالية.

- **دراسات حول الاسلام:**

شكل الدين الاسلامي محورا أساسيا في الدراسات السوسيولوجية الكولونيالية بالجزائر باعتباره أحد أهم مقومات المجتمع الجزائري وأحد اهم روابط أفراده بعضهم ببعض، لذلك نال قسطا من البحث و التنقيب؛ حيث درست الزوايا ، والاولياء الصالحين ،و المساجد ، و الفرق الدينية وغيرها. ومن بين الدراسات حول الفرق الدينية نجد:

- **دراســـة النقيـب دونوفو (le capiteain deneveu[1])بعنوان"Les Khouan " (الاخوان) ordre religieux chez le musulman d Algérie » (النظام الديني بين مسلمي الجزائر).**

والتي هدف من خلالها إلى جمع أكبر قســط من المعلومات حول الفرق الدينية من حيث: عدد رجالها ، عدد الخيول التي تكتسبها ، ميزانيتها، مساحة أراضيها،عدد ونوع الاسلحة التي تمتلكها ، الطابع التنظيمي السائد بداخلها وغيرها،حيث يقول في كتابه السابق الذكر: **"من خلال اهتمامنا بالتنظيمات الدينية التي تتقاسم فيما بينها سكان الجزائر ،كان هدفنا الكشف عن بعض الجمعيات التي يجب علينا أخذ الحذر منها ، لان كل جمعية قوة وبالنسبة للرجل الذي يريد و يعرف تسييرها فهي سلاح فتاك يستطلع تسخيرها في تحقيق مشاريعه"[2] .**

حيث ظهرت هذه الدراسة الى العلن سنة 1845 م، وفيها اصرار من المألف وإلحاح على أهمية ودور الطوائف الدينية المسلمة في التصدي للغزو الفرنسي، وكشف في هذا العمل للسلطات الاستعمارية عن طبيعة جهلها بواقع المجتمع الجزائري، ولم يبن "دو نوفو" من أين استقى مادة هذا الكتاب، وباعتباره عضو اللجنة الافريقية بالجزائر فإن معلوماته بتنوعها وانسجامها، فقد قدمت على كل حال نظرة جديدة عن طبيعة المقاومة الجزائرية، إذ اعتبر أن المرجعية التاريخية للطرق الصوفية أنها المحرض الأساسي للثورات وخاصة منها الطريقة الرحمانية التي تكن العداوة لفرنسا كما أنه اعادة طبع هذه الدراسة سنة واحدة بعد الطبعة الأولى يبرهن ما مدى أهمية هذا الكتاب لدى الحكومة الفرنسية.كما يلاحظ دونوفو على أنه من الآفات التي يجب على فرنسا محاربتها هي تلك المتعلقة بالجهل

المرعب، وتعليم الأطفال المســلمين أنه تعليمهم يســتطيع تدميرهم خاصــة ايمانهم بهذه المعتقدات المتعددة التي يعتنقها الشعب الجزائري.[3]

و فعلا استغلت هذه الدراسة من طرف الادارة الاستعمارية الفرنسية حيث ساعدت على قطع الطريق أمام رجال الفرق الدينية و الحد من نشاطها.

➢ **من الدراسات في هذا المجال نجد أيضا دراسات Raymond Charles "ريمون تشارلز"**

والذي يعد قطبا من اقطاب المختصين في معرفة اسرار الشريعة الاسلامية وطوايا الفقه و خبايا المجتمعات العربية لأنه كتب بلا انقطاع مدة ثلاثين سـنة ودرس بالجامعات و نصـب قاضـيا بين الناس و مسـتشـارا للحكومة الفرنسـية"[4] و من بين اعماله " **الروح الاسـلامية** " و هو من أخطر الاعمال التي اسـتهدفت الاسـلام ،حيث عمل من خلاله على نشر الأكاذيب و إلصاق كل أنواع التهم للإسلام ومن بين ما جاء فيه:[5]

أن الإسلام عامل تخلف للمسلمين وعامل تعطيل للتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي و الركود والاستسلام لما كتب عليهم ،إذ رأى **Raymond Charles** "في الاسـلام استسـلاما جوهرا و مضـمونا فأباح و سـوغ كل التصـرفات الفرنسـية من اغتصـاب للأرض وسـلب للحكم و إدماج في الامبراطورية ، لان الذنب في ذلك ليس ذنب السلطات الاستعمارية و إنما المسؤولية ملقاة على عاتق الاسلام كدين هيأ دهنيات المسلمين للإساءة إلى مواردهم الطبيعية ،و هي الدعاية نفسـها التي ما تزال إلى يومنا هذا ترددها أبواق الدعاية الصـهيونية و الغربية الخاضعة لها ..." [6]

كما تناول وضع الاسرة في المجتمعات المسلمة حيث قارن بين الاسرة في المجتمع المسلم و المجتمع الفرنسي هذا الاخير الذي يعتبر النموذج الذي يجب الاقتداء به ، حيث بين أن المرأة مجرد تابع للهيمنة الذكورية ، كما أنها مهضـومة الحق في الحصـول على الميراث حيث يقول :"إن خضـوع المرأة لزوجها كان الأصـل في القانون القديم والنصـوص التي اتخذتها الثورة الفرنسـية انفردت بسـن المسـاواة القانونية المطلقة فعدلتها المجلة المدنية التي حددت حقوق الزوجة تم عادت المرأة شيئا فشيئا إلى اكتساب هذه الحقوق بفضل القوانين اللاحقة وهكذا لم تكتسب المرأة المساواة إلا بعناء... أما المحتوى الهيكلي لمؤسسة الزواج الاسلامي فإنها بقيت في وضعها العتيق الذي يباين مصـالح القوانين ، فالمرأة لا تدخل في أسـرة زوجها و ليس هناك شـيوع في الاموال... والحق أن سـيطرة رئيس الاسرة وسيطرة الذكور المطلقة تغطي هذا التباين المزعوم و تجعله وهميا للغاية من حيث مفعوله المادي ، فالسيد والمولى أنيطت بهما مسـؤولية الدفاع عن النظام الداخلي والخارجي للأسـرة بل على كامل المجموعة القبلية فهما

مؤهلان للاستئثار بأوسع نفوذ ممكن أضف إلى ذلك أن اقتصاد العشيرة المطلق يسوغ هذه الاساليب التعسفية التي تذهب النساء عادة ضحية لها بسبب حرمانهن من الميراث"[7]

- **نذكر من الدراســات أيضــاً دراســة للضــابط " لويس رين Louis Rinn [8] " بعنوان "المرابطين والاخوان"**

صـدر هذا المؤلف سـنة 1884 م الذي لجأ فيه صـاحبه إلى التقارير الرسمية التي تصـل الى الادارة المركزية تباعا من االمكاتب العربية والولايات سواء منها التقارير السرية أو العادية، ثم استعمل نفوذه كضابط مسؤول في الادارة العامة فطلب تقارير من مخـــتلف الشـيوخ والمقدمين عن حالتهم، وإحصـاء أتباعهم وأصـولهم النسـبية والدينية وعلاقاتهم، وأضـاف الى ذلك مراسـلاته مع شـيوخ المغرب وتونس وتقارير القناصـل الفرنسـين في بمختلف البلاد الاسلامية وقد خرج من ذلك كله بآراء سنتناول الأهم منها:

يشـير **"لويس رين"** إلى أن التعصـب نادر عند االمرابطين ما لم يكونوا تابعين لطريقة صـوفية لأن مصـالحهم المادية تحتم عليهم الليونة ومواجهة الواقع بروح عملية، واستشهد على ذلك بأن بعض المرابطتين كان يقدم الملجأ للمدنين الفرنسـين عند حدوث الثورات وتعرضـهم للخطر وحتى في الأوقات العادية، ولذلك أوصـى "رين" بالنسـبة لهؤلاء المرابطين بضرورة مراقبتهم بصفة علنية وعلى فرنسا استمالة بعضهم إلى جانبها وتعينهم في مناصب كالأغا والقايد وتمييزهم عن الأهالي الجزائرين ومن الملاحظات الهامة التي أبدايا "رين" إزاء الطرق الصـوفية بعد الدراسـة والمعاينة أن الطرق الصـوفية التي تخالفت مع فرنسـا فقدت حيويتها وانخفض عدد أتباعها، بينما الطرق التي ظلت على عدائها أو حيادها اكتسبت أتباعا وتجددت، لذلك نصح بعدم اتخاذ أسلوب المواجهة والانتقام ضد الطرق العدوة كهدم الزوايا واعتقال الزعماء، لأنه من شأنه أن يضر بفرنسا[9].

- **دراسة "أوكتاف ديبون" و "كزافييه[10]" تحت عنوان "الطرق الصوفية الدينية الاسلامية"**

يعتبر هذا الكتاب بمثابة الدراسـة الوافية والتي تم صـدورها في سـنة 1897 م وتحتوي العديد من الخرائط والصـور التوضيحية، ويعتبر هذا الكتاب من آخر الدراسات العامة عن الطرق الصوفية، قامت هذه الدراسة بمسح شـامل ودراســة عميقة وموسـعة للطرق الصـوفية التي كانت المحور الأسـاسـي في هذا البحث والتي بدأت بعرض تاريخي للأزمنة السـابقة للإسـلام، إذ جاء في هذا الكتاب: "إن الزوايا الدينية الاسـلامية ونظرا لارتباطها العميق بتأسـيس وتطور الإسـلام بدى لنا أنه من الضـروري عدم التغاضـي عن أي شـيء من أجل توضـيح كل الوقائع المرتبطة بها والتي مازال البعض منها بالرغم من أقدميتها تمارس تأثيرها في الوسط الإسلامي اليوم"[11]

احتوى هذا الكتاب على قسـمين تناول **القسـم الأول** منه سـتة فصـول اهتم فيها الكاتبان بالعقيدة الاسـلامية وتاريخ الاسـلام والعرب وأصـول التصـوف وتطوره ونشـأة الطرق الصـوفية وبشـكل مفصـل ومدقق عن تنظيمها ومبادئها ونظامها المالي الخاص، المتمثل في الأوقاف وكذا الدور السياسي الذي تلعبه هذه الطرق الصوفية [12].

أما **القسـم الثاني** من هذه الدراسـة تناول الكاتبان مسـح للطرق الصـوفية مع ذكر أصـولها ونشـأتها وتطورها وانتشـارها[13]، كما تناول في مؤلفهما هذا إلى ضـرورة توخي الحذر من الطرقيين باعتبارهم العدو الذي يهدد وجودهم، وفي الفصـل الخاص سـجل اهتمامهما بالدور السـياسـي للزوايا، وقد ضـمن دراسـتهما بآراء وتوصـيات جديرة بالمناقشـة حتى تضـمن فرنسـا بقائها، إذ يتوجب عليها تحسـين العلاقات مع شـيوخها وترأسـهم لبعض الوظائف الدينية بغرض وضـعهم تحت الوصـاية وتوطيد صـلة التعاون مع أتباع الطرق بإنشـاء زوايا مماثلة وتحديث الزوايا القديمة مع تدعيمهم بالأموال والمساعدات، هذا المقترح الأخير يمكن فرنسا من ربط علاقات تجارية وسياسية وحضارية بواسطة هذه الطرق وتعمل على تسريب أفكارنا الحضارية إلى العالم الاسلامي [14].

هذا وقد ظهرت بعد ذلك عدة دراسـات أخرى للطرق الصـوفية ولكنها لم تأتي في شـكل عمل شـامل مثل عمل "رين ودونوفو وأوكتاف ديبون و كزافييه .. " ذلك أن الإدارة الفرنسية قامت بعد عشـر سنوات بنشـر كتاب هذا الأخير، وقامت بتوجيه خبرائها الى دراسة الظاهرة الإسلامية من جديد فكانت دراسة "**الاسكندر جولي**" ودراسة "**ايدموند دوتي** [15]" **بعنوان: "الاسـلام الجزائري عام 1900** الذي تناول فيه صـاحبه دراسـة عامة وشـاملة عن الاسـلام من معتقد وإيمان وروحانيات، كما تناول الزوايا الدينية والطرق الصـوفية التي قام بجردها بصـفة مختصـرة إلى هيكلة الطريقة وأقسامها[16]

➢ دراسات حول المرأة:

شـكل موضـوع المرأة الجزائرية محور اهتمام الكثير من الباحثين السـوسـيولوجيين الكولونياليين وكان مدخلا جوهريا لتغطية الحقائق و الوقائع لتفتيت المجتمع الجزائري و ووحدته الاجتماعية خدمة للإديولوجيا الكولونيالية الفرنسية ، و من الحقائق المزيفة أن المرأة تابعة و دونية ،و في حالة تشبه الرقيق بالنسبة للرجل، و أنها أول عامل من عوامل تخلف المجتمع الجزائري؛ حيث يقول **فيليب لوكا و جون كلود فاتان** في هذا الصـدد":و قد كان أول مجال وجه إليه الاتهام هو العالم النسـوي و من خلاله النظام الاجتماعي برمته ...إن جل المؤلفات العامة إن قليلا أو كثيرا تحتوي على قسـم يعالج هذه المسـألة ،بيد أن الذي يسـترعي الانتباه بين كتيب **ج،ب،بونافون** و الثلاث مئة صـفحة التي دونتها ماري بوجيجا ، ليس هو سمك المنشـورات و لا جنس مؤلفيها و لا الفارق الزمني المقدر

بنصـف قرن ، بل التغير الحاصـل في التصـور ، فالأول قد قدم المرأة الباحثة عن الخلاص من منزلة الشـيء التي زجت فيها من الخارج و أطلق أحكاما ملؤها السـخرية ، في حين أن الثانية ،فسـعت إلى وصـف عالم النسـاء من خلال وجهات نظر هذه النسـاء أنفسـهن ، و يوجد بين الاثنين جدل قائم بالذات ، أما **ارنسـت ميرسـيي** فقد أخلط بين وضع المرأة في الواقع و في القانون مع الاشارة إلى البطلات اللائي أنتجهن التاريخ ، كما قارن **باربي** بين منزلة المرأة في البلدان العربية و في بلاد القبائل ،... في حين تم ذلك للكاتب **فيرديناند ديشـان** في ثماني صفحات لما هم بالكتابة عن المرأة المسلمة في شمال أفريقيا ، و عالج **لويس ميبو** المسألة من وجهة نظر القانون ، أما الجنرال **دونا** ، الكاتب المكثر فقد قام بجرد لحظات ووجوه الحياة النسـوية ، كما تحدث آخرون عن المرأة العربية في الاسـلام و الحياة اليومية و في الحفلات و الاعياد ، فكلهم أو جلهم لم يبرحوا المظاهر و تقاسموا إن قليلا أو كثيرا نفس الرأي: المرأة تابعة و دونية و في حالة تشبه الرقيق بالنسبة للرجل"[17]

ويضيف الباحث **جمال معتوق** جملة من الدراسات الكولونيالية التي تناولت نفس الموضوع لتحقيق نفس الهدف على سبيل المثال: [18]

- Hacoun- Compredon ,Etude sur L'évolution des coutumes kabyles spècialement en ce qui concerne L Exhérédation des Femme et la pratique du Habous ,Alger1921 . **(دراســة عن القبائل خاصــة فيما تعلق عن الميراث)**
- Goichon a.M ; la vie fèminine au Mzab, étude de sociologie , prèface de Wiliam Maçais ,Gauthier , paris, 1927. **(دراســة عن حياة المرأة المزابية)**
- Gaudry(M) , La femme Chaouia de L Aurès. Etud de sociologie berbère ,Alger.1929.(**دراسة في علم الاجتماع البربري عن المرأة الشاوية**)
- Roger Letourneau, L'évolution de la famille musulmane en Afrique du Nord, 1938.**(دراسة عن تطور الأسرة المسلمة في شمال افريقيا)**

- Lefevre(L) ,recherche sur la condition de la femme kabyle (la coutume et loeuvre française) alger1939. **(دراســة عن وضــع المرأة القبائلية بالعمل الحرفي)**
- Servire (J) ,Chants des femmes de L Aurès ,paris 1955. **(دراسة عن أغاني النساء الأوارس)**

و الملاحظات التي يمكن استخلاصها فيما يخص هذا الموضوع هي:

- أغلبية الدراسات التي تناولت موضوع المرأة أراد أصحابها إظهار الفروق الموجودة بين المرأة العربية و المرأة البربرية ،و بالتالي تندرج أعمالهم ضمن الثنائية العربي– البربري.
- حاولوا من خلال هذه الأعمال التطرق إلى ما سموه تفوق المرأة القبائلية (البربرية) في مجالات الحياة مقارنة مع المرأة العربية.
- تناولوا المرأة و ذلك قصد إظهار أو تفسير الوضع المتدني الذي توجد عليه ، و ربطه بالعادات و التقاليد وخاصة إلصاق التهم بالدين الاسلامي و جعله السبب في ما هي عليه ، إذ كل هذه الدراسات تقول أن المرأة في الجزائر قاصرة بسبب الدين الاسلامي.
- أغلبية الصـور التي قدمتها هذه الاعمال حول المرأة تصـب فيما يمكن وصـفه بدونية المرأة ،أو المخلوق السلبي في مجتمع رجولي.
- هناك دراسات حاول أصحابها من ورائها إلصاق التهم و الشبهات بالمرأة الجزائرية عامة و البربرية خاصة ،مثل الدعارة و الاخلاق الرذيلة.

بالإضـافة إلى هذين الموضـوعين هناك مواضـيع عديدة أخرى كانت مداخل حسـاسـة و أدوات فعالة لكشــف خبايا المجتمع الجزائري من جهة ، و من جهة اخرى لنشــر الأباطيل و تزييف الحقائق واستخدام هذه الحقائق لإحكام السيطرة والفوز في المعارك ؛اي خدمة للأيديولووجا الإستعمارية.

ومن بين تلك المواضـيع يمكن القول أنه قد نجح في اسـتعمال ورقة التقسـيم العرقي للتركيبة البشـرية لمكونات الشــعب من عرب وبربر وهو ما قام به**Masquerey** ماســكراي في دراســة المجتمع الميزابي عن طريق الملاحظة بالمشاركة والتعرف على عاداتهم وانتماءهم العرقي والعقائدي والدعوة إلى توظيف ثنائية البربر/العرب وهي ثنائية استندت عليها لحماية تغلغلها وهي ثنائية لها بعد عرقي ولها نتائج عميقة ومؤثرة للسيطرة الفرنسية

عل المجتمع أما من الجانب البحثي فقد تم تأسيس مدرسة للآداب بالعاصمة الجزائر سنة 1879 تحت إدارة Renn basset

المخبر الرئيسي للفكر الكولونيالي حول المغرب العربي، كما استطاع " جاك بيركJacques Berque "

الدي استطاع ان يقوم بدراسات حول المجتمع الجزائري من خلال الثقافات الفرعية للمجتمع القبائلي ودراسة اللغة كأحد الثوابت التي يجب تفكيكها استنادا إلى مقولة" مالينوفيسكي " على أن البحث لا بد أن يمر بمعرفة لغة الغير وأعرافه وما يمكن قوله أن السوسيولوجيا الكولونيالية نجحت إلى حد بعيد في الوصول إلى أهدافها الاستعمارية وهو تمكين المستعمر من احتلال الجزائر لمدة تفوق قرن و30 سنة.[19]

إضافة إلى ذلك كله يمكن ذكر أيضاً أهم الباحثين كادراسات" هانوثو "و" لوتورنو Hanotaux et " " Letournaux "حول عادات جرجرة "وجون ليورال J.Liorale حول الأعراف البربرية لمنطقة القبائل وأخرى كانت بحوثهم في القانون" قاموس التشريع الجزائري 1860 " لمينارفيل Menerville و بيرون Perronالخ

حيث كان الإرث الاستعماري يعالج التقسيمات في لمجتمعا الجزائري (الثنائي:عربي-بربري) فكانت بعيدة عن الطابع الأكاديمي، لكن لأهدافها الاستعمارية عالجت المجتمعات المغربية والجزائر خاصة ، لتكون معرفة ومرجعا تاريخيا هاما في الحقل السوسيولوجي ، دون أن ننسى قائمة العلماء و الباحثين الغربيين ك"إميل سيكار "و" بيار بورديو "و "بريون("المناهج و المفاهيم) في الجامعة الجزائرية.

قائمة المراجع المعتمدة:

1 - **إدوارد دونوفو(1809-1871)**: ولد بمنطقة بصفاني سورهاي بفرنسا، خريج المدرسة العسكرية،تعلم اللغة العربية وكلف بمهام رئيس المكتب العربي بباتنة سنة 1847، ثم رءيس المكتب العربي بقسنطينة 1858، ترقى إلى رتبة مقدم سنة 1854 وعقيد سنة 1855م، ولواء سنة 1864، ثم أشرف على تأسيس مقاطعة الجزاءير سنة 1870م، وتوفي سنة 1871م.

2 - جمال معتوق : واقع و آفاق علم الاجتماع في المغرب العربي ،عمل غير منشور، أطروحة دكتوراه دولة ، قسم علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 1999-200، ص81

3 - ادوارد دونوفو: دراسة اثنولوجية حول الجماعات الدينية عن مسلمي الجزاءير، ترجمة كمال فيلالي، دار الهدى، عين ميلة ، 2003، ص ص 13-14

4 - عبد الوهاب بوحديبة : لافهم : نصوص عن المجتمع و الدين ، الجدار التونسية للنشر ، 1992، ص109

[5] – جمال معتوق: علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا ،ط 1 ،دون دار نشر، ص 57-58

[6] – عبد الوهاب بوحديبة: مرجع سابق ،ص13

[7] – جمال معتوق: علم الاجتماع في الجزائر ، مرجع سابق ،ص 58-59.

8 – لويس رين ماري: من مواليد 28 مارس 1838م، بباريس التحق بالمدرسة العسكرية بسان سير عام 1855م، وتخرج برتبة ملازم في 13 سبتمبر، التحق بالجزائر في 05 ماي 1864م، وأمضى سنة أولى في مصلحة شؤون العربية واستطاع أن يتعلم العربية وتنقل بين مسيلة وبسكرة و سطيف وهو ما اهله لتعرف على أسرار الجزائريين ، عد من ابرز ضباط الخدمة في المكاتب العربية، فتحصل على وسام الشرف لسلوكه الشجاع ببسكرة أثناء وباء الكوليرا عام 1867م، وفي سنة 1880م أصبح رئيس المصلحة المركزية للشؤون الأهلية، ولكن لم يدم عمله طويلاً فبعد خمس سنوات ألغيت هذه المصلحة وعين مستشاراً في الحكومة، وفي 03 مارس 1885 استقال من منصبه وهو قايد كتيبة.

9 – أبو القاسم سعد، تاريخ الجزاءير الثقافي، عالم المعرفة، الجزاءير، 2009، ص ص 19 -20

10 – كزافيه: من مواليد 1866م، استقر مع اسرته بمنطقة قسنطينة التي أتم بها دراسته وعمل في الإدارة كاتبا ومراسلاً، وارتقى لمساعد إداري وتمكن من تعلم اللغة العربية لاختلاطه وتعامله مع الأهالي مما سهل له الاندماج في المجتمع الجزاءيري، مما اثمر ذلك إصداره كتاب حول الطرق الصوفية الدينية في الجزاءير بمساعدة زميله في العمل أوكتاف ديبون

11 - O.Depont et x.Coppolani, Les Confréries musulmanes en Algérie, Adolphe Jourdan, algerie,1897, p,01 .

12 - Augustin Berque, Note sur les confréries musulmanes algériennes, imp. le Fouqué Oran, 1919, pp ,16.17,

13 - ibid, p 14

14 – ابو القاسم سعد الله، تاريخ ابعزائر الثقافي، ج 04 ، مرجع السابق، ص ص31 315

15 – ادموند دوتي : من مواليد 1867م، تعلم هو الاخر اللغة العربية وتقلد منصب أستاذ بمدرسة تلمسان وأستاذكرسي علم الاجتماع الإسلامي للمدرسة العليا لكلية الآداب بالجزاءير، ليصبح سكريتيرا عاما للجمعية.

16 - Doutte.E, L'islam Algérien en l'en1900, imp. Girât, Alger, 1900, p73.

[17] – فيليب لوكا و جون كلود فاتان : جزائر الانتروبولوجيين نقد السوسيولوجيا الكولونيالية، ترجمة: محمد يحياتين وبشير بولفراق و وردة لبنان ، منشورات الذكرى الاربعين للاستقلال

[18] – جمال معتوق: علم الاجتماع في الجزائر ،مرجع سابق ،ص ص66

[19] – جمال معتوق: علم الاجتماع في الجزاءير من النشأة إلى يومنا هذا، مرجع سابق، ص19

المحاضرة السادسة : مخلفــات السوسيولوجـــا الكــولــونــيــالــية بالجـــزائـــر

1- أهمية الكتابات الأجنبية بالنسبة لفرنسا وللجزائريين
2- سيادة النظرية الغربية في تدريس علم الاجتماع
3- الصراع الايديولوجي في الممارسة السوسيولوجية إلى يومنا هذا

مخلفات السوسيولوجيا الكولونيالية بالجزائر

عمل الاستعمار الفرنسي بكل الطرق والوسائل على طمس الهوية الجزائرية كمدخل لإحكام السيطرة على الشعب الجزائري بعدما استنفدت قواه في بدايات الاحتلال عام 1830 ، و صدم بالمواجهات و المقاومات العنيفة من الاهالي ، فلم يجد سـلاحا فعالا في تلك الفترة إلا العلم الذي اسـتغل بطرق خبيثة، منها التزوير والتزييف للحقائق لتفتيت البنى و الروابط الاجتماعية للشعب الجزائري ، و من بين العلوم التي استغلت لتحقيق هذا الهدف نجد الممارسـة السـوسـيولوجية ، وتأتي هذه المحاضـرة لتوضـيح الكيفية التي اسـتغل بها هذا العلم، ومخلفات ذلك على السوسيولوجيا الجزائرية بعد الاستقلال.

لقد بدأت السوسيولوجيا الإستدمارية الفرنسية في الجزائر في ممارسة مهامها عام1833 ، وكانت أهدافها مرتبطة بأهداف السياسـة الإسـتدمارية الرامية إلى سـلب الأمة الجزائرية هويتها و إحكام السـيطرة عليها ،ولقد ارتبطت المسـيرة السـوسـيولوجية في الجزائر بعد الاسـتقلال بالتراث السـوسـيولوجي الفرنسـي الإسـتدماري، ومحاضـرتنا اليوم هذه للكشف عن طبيعة هذه السوسيولوجيا و أهدافها وممارساتها ، و ماهي مخلفاتها على السوسيولوجيا الجزائرية بعد الاستقلال.

1- أهمية الكتابات الأجنبية بالنسبة لفرنسا وللجزائريين

إنّ أهمية هذه الدراسات التي قامت بها فرنسا لابد أن يكون لها فائدة جهة تعود عليها فكل هذه الدراسات كانت إلّا جزء من مخططات واسـتراتيجيات اسـتعمارية بحتة،ففرنسـا قامت بهذا العمل لأجل ضـرب المجتمع الجزائري في صميمه وهويته في تراثه وثقافته في عروبته وإسلامه....الخ.

إن المجتمع الجزائري المحافظ المسـلم والعربي كان له سـنده في هذا التوجه الزوايا والطرق الصـوفية إلّا أن فرنسـا بمجرد التنبؤ لهذا الأمر أرادت تجريد الفرد الجزائري من كل مصـادر قوته ليسـهل عليها القضـاء عليه وطمس هويته، والقيام بالدراسـة المعمقة لزوايا والطرق الصـوفية من أجل العمل على إقامة مشـاريع تدمرها وهذا طبعا بعد معرفة نقاط الضعف والقوة.

أمّا بالنسبة للجزائريين فهذه الدراسات تساعد في معرفة الوضع السابق والوقوف عند كل كبيرة وصغيرة عاشها الجزائريين سابقا كما أنها تنقل بعض الحقائق كانت في السابق تساعد الباحث أو الدارس الحديث والمعاصر في بحثه

هناك آثار سلبية كثيرة ولكن سنذكر فقط نقطتين أساسيتين هما:

- **سيادة النظرية الغربية في تدريس علم الاجتماع:**

بالرغم من حصول الجزائر على الاستقلال إلا أن نظامها التعليمي بقي مرتبطا ارتباطا وثيقا ولفترة طويلة (1962إلى1971) بالجامعة الفرنســـية " وفي داخل الجامعة الجزائرية خلال هذه المرحلة ،ظل التوجه الفرانكوفوني للخطاب السوسيولوجي قائما حتى عام1971 ، وهو توجه كرس لهذا الخطاب كعلم كتبي يعني بالتنظير الذي يفتقر إلى الدراسات الميدانية الواقعية ، و يصب جل اهتمامه على دراسة أعمال المدرسة الدوركايمية غالبا ، ويكاد يقتصر على النقل دون التأصيل ، وعلى التحصيل دون التحليل "[1]

و رغم انتصار الثورة الجزائرية ، ظلت المقررات الفرنسية في السوسيولوجيا تعالج آنذاك مشكلة الاستعمار على أنها مسألة إنسانية ، وعلى أنها من وسائل نشر الحضارة البشرية وهو ما عبر عنه ارمان كوفيليه (Armand cuvillier)

الذي مثلت مؤلفاته احد مصادر هذه المقررات الاساسية[2]

والسبب يرجع إلى قلة الاساتذة الجزائريين حيث بقي فرع علم الاجتماع يدار من طرف أساتذة أجانب يقول الباحث **جمال معتوق** في هذا الصــدد «... كان علم الاجتماع خلال كل هذه المدة علما غربيا من حيث المحتوى والمؤطرين، كان يدرس باللغة الفرنسية ويدار فرع علم الاجتماع من طرف أساتذة أجانب ...»[3]

لقد كرست هذه الفترة الطويلة روح النظريات الغربية عموما و الفرنسية خصوصا لدى الجيل الاول لطلبة علم الاجتماع في الجزائر ،و هذا أثر كثيرا على المراحل اللاحقة لمسيرة علم الاجتماع في الجزائر؛ حيث نجد إلى يومنا هذا أساتذة يدافعون عن أفكار المدرسة الفرنسية، و يدرسونها لطلبتهم دون نقد أو تحديد بما يتلاءم مع واقع المجتمع الجزائري.

- **الصراع الايديولوجي في الممارسة السوسيولوجية إلى يومنا هذا:**

تعتبر الفترة الممتدة ما بين 1971 و 1984 مرحلة مميزة بالنسبة للدولة الجزائرية عموما و مسيرة علم الاجتماع خصوصا ؛ حيث بدأت الجزائر تستعيد هيبتها و مقوماتها و بعدها الحضاري و محاربة كل ما هو موروث استعماري حيث أحدثت إصلاحات على النظام التربوي ، و طبقت عملية التعريب لكافة العلوم الاجتماعية

وعلم الاجتماع خصوصا سنة 1980 ،و جند علم الاجتماع والمشتغلين به للدفاع عن الايديولوجيا الاشتراكية و هي ايديولوجية الحزب الحاكم إذ يقول عنصـر العياشـي في هذا الصـدد": تميزت هذه الفترة بهيمنة خطاب ايديولوجي شعبوي[4]

و عليه فقد نجد أن علم الاجتماع تحول من علم أكاديمي– علمي إلى علم إيديولوجي أي أداة لضـمان و بقاء استمرارية النظام القائم و انقسمت الساحة السوسيولوجية فأصبح هناك علم اجتماع ثوري تقدمي و هو العلم المتشبع بالايديولوجيا الماركسية ،ذات التوجه الاشتراكي ،و سمي كل الذين وقفوا في طريق المد الماركسي وأخذوا عن المعسـكر الرأسمالي تكوينهم السـوسـيولوجي ومقارباتهم النظرية من السـوسـيولوجيا الرأسمالية بالرجعيين و البرجوازيين ، و هذا التقسيم داخل الحقل السوسيولوجي عندنا كانت و لا تزال له آثار وانعكاسات جد سلبية على المسيرة السوسيولوجية.[5]

و بعد تاريخ 1984 و انهيار الايديولوجيا الاشتراكية عالميا أثر ذلك مباشرة على علم الاجتماع في متابعة تنفيذ البحث إلى ما يشبه الشلل التام في مواصلته نتيجة الشك في جدوى و قيمة النظرية الماركسية و أدواتها المعرفية و المنهجية [6]و هذا ما أدى إلى تعبيد الطريق و فتح المجال أمام السوسيولوجيين المناصرين للنظريات الغربية عموما و الفرنسية خصوصا للبروز مجددا خاصة بعد العشرية السوداء التي مر بها المجتمع الجزائري وبقي الصراع قائما لحد الآن ،و هذا ما ساهم بقسط كبير في الازمة التي يعانيها علم الاجتماع في الجزائر

اليوم وتقول الباحثة جهينة سلطان في هذا الصـدد " تعتبر الذات السـوسـيولوجية العربية الاسـلامية مسـتهلكة للمعرفة السـوسـيولوجية الغربية لفهم الواقع العربي ، فإذا كان علماء الاجتماع الغربيين قد شـهدوا أزمتهم الخاصـة التي اخذت اشـكالا فكرية مخالفة بدأت في نقد المسـلمات النظرية الكلاسـيكية وصـولا إلى اليسـار الجديد الذي يعبر عن رفض الرفض وصولا إلى إبراز الطابع الانساني الفينومينولوجي و الأنتربولوجي فإن علماء الاجتماع العرب قد واجهوا أزمة مزدوجة افتقاد النظرية الاجتماعية للتماسك والاتساق من ناحية ، واغترابها عن الواقع العربي من ناحية أخرى .[7]

قائمة المراجع المعتمدة:

[1] – محمد حافظ دياب: علم الاجتماع في الجزائر الهوية و السؤال، مجلة المستقبل العربي، العدد 134 ،بيروت ،لبنان ، 1990 ، ص 96

[2] – المرجع نفسه، ص 97

[3] – جمال معتوق: علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا ،ط 1 ،دون دار نشر، 2006، ص 93

[4] – جمال معتوق :مسـيرة علم الاجتماع في الجزائر:من النشـأة إلى النكبة ، المجلة الجزائرية للدراسـات السوسيولوجية ،جيجل ، العدد التجريبي،جوان 2005 ص77.

[5] – جمال معتوق: مرجع سبق ذكره، ص 90

[6] – محمد خالد في : أحمد عماد الدين خواني: إبستيمولوجيا النظرية السوسيولوجية ،رسالة دكتوراه علوم غير منشورة ، جامعة قسنطينة2 ، 2012-2013، ص234.

[7] – جهينة سلطان العيسي و الحسيني السيد ، علم الاجتماع و الواقع العربي ، دراسة لتصورات علماء الاجتماع العرب ،مجلة المستقبل العربي ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1982 ، العدد7 ،ص31

المحاضرة السابعة : مراحل تطـور علـم الاجتمـاع بالجـامعـات الجـزائــريــة

1- مرحلـة التبعيـة الاستعماريــة غـداة الاستقـلال (1962-1971)

2- مرحلـة إصلاح منظومة التعليم العالي: الفترة الممتدة من (1971-1984)

3- مرحلة التراجع والتقهقر: الفترة الممتدة من 1985 إلى يومنا هذا

1- مراحل تطور علم الاجتماع بالجامعات الجزائرية

يمكـن اعتبار أن علم الاجتماع في الجزائر أخذ جذوره في الانتاج أنثروبولوجي **لجاك بيرك وبورديو وصياد وقاليسو**... لمـــا قبل الاستقلال ومـــا بعده مباشرة، بينما تشكلت ثلة من الجامعيين الجزائريين مثل **شولي والكنز وجغلول ومعروف** ... وغيرهم في السبعينيات على الخصوص، حاولوا مقاربة المجتمع الجزائري من جوانبه المختلفـــة المتعلقة بالمؤسسات الاجتماعية والثقافية والصناعية منها، ومنذ تطبيق إصلاح التعليم العالي عام 1971 مر على علم الاجتماع أكثر من 30 سنة من الوجود في الجامعة الجزائرية في ميدان تلقين وانتاج المعارف، وقد عرف تطور هذا العلم ثلاثة مراحل أساسية:

- **مرحلة التبعية الاستعمارية غداة الاستقلال 1962-1971:**

نظرا لنقص الإمكانات المادية والبشـــرية وكان من أولويات الســـلطات آنذاك محاربة الجهل والتصـدي له وتجسـد ذلك من خلال ديمقراطية التعليم الذي سـاعد على انفتاح الجامعة على التحولات التي يشـــهدها المجتمع الجزائري واعتبر المؤرخون أن هذه الفترة بمثابة امتداد للمرحلة الاســـتعمارية من حيث تنظيم البرامج وطرق التسيير والتدريس. [1]

إن الميزة الأسـاسـية التي كانت تميز علم الاجتماع في هذه الفترة أنه علم مازال يمارسـه الفرنسـيون أنفسهم وذلك لندرة المتخصصين في هذا المجال كما أن الدروس كانت تعطى باللغة الفرنسية والنظام التعليمي خلال هذه المرحلة كان من حيث البرامج و الأهداف مرتبطا بالجامعة الفرنسية.[2]

فكانت تعتمد على الارث السـوسـيولوجي الاسـتعماري و محاولة بعث مشـروع الدولة الوطنية مع غياب نقد علمي للأطروحات الكولونيالية ، لان المسـيرون فرنسـيين ، و البرامج فرنسـية مسـتوردة وبعد 1962 نوقشـت رسـائل دكتوراه الحلقة الثانية في الجزائر ل**"فاروق بن عطية"** بعنوان "**العمل النسـبوي في الجزائر"** ورسـائل "**بن أشـنو مراد"** : دراسـة "**سـوسـيولوجية للتسـيير الزراعي في الجزائر**." و بذلك كان الهدف قطع الصلة مع الماضي ، للاعتماد على الباحثين الجزائريين لكن بتوجه فرانكفوني الذي بقي الى أواخر السبعينيات. فبعد الاستقلال تحول القسم الخاص بعلم الاجتماع من مسير فرنسي **"ايميل سيكار** "الذي كان على رأس فرع علم الاجتماع من مارس1963 إلى 1967 بعد مغادرة الأجانب أصـــبح **"فاروق بن عطية"** أول جزائري يسير هذا القسم[3].

في هذه المرحلة كان يدرس علم الاجتماع في كلية الآداب والعلوم الإنســـانية كفرع مســـتقل بذاته في جامعة الجزائر وكان بذلك يشمل على خمس شهادات:[4]

1- علم الاجتماع العام
2- علم النفس الاجتماعي
3- الديمغرافيا
4- الاقتصاد
5- الاثنوغرافيا

وهو النظام الذي ورثته الجزائر عن المستعمر، كما انه كان عندما ينتقل الطالب من السنة التحضيرية إلى الليسانس يجب عليه الحصول على أربع شهادات من بين خمسة المذكورة سابقا، ثلاثة منها مقررة مسبقا وهي اجبارية (علم الاجتماع العام، علم الاقتصـاد السـياسـي، علم النفس الاجتماعي) أما الشـهادة الرابعة الضـرورية لإنهاء مرحلة الليســـانس فيختارها الطالب من بين الشـــهادتين الباقيتين: ديمغرافيا أو اثنوغرافيا، علما ان الدروس كانت تؤخذ باللغة الفرنسية.

كان محتوى التدريس موجها بالخصوص نحو الرواد الأوائل لعم الاجتماع مثل كونت ودوركايم وماكس فيبر وكارل ماركس

وبالرغم من هذا لكن تبقى هذه الفترة يسودها الكثير من الغموض وهذا بسبب غياب الأرشيف الخاص بها، وكما أشار **جمال معتوق** بمقابلة أجراها مع الدكتور **عبد الرحمان بوزيدة** يقر أنه من بين الأساتذة الذين كانوا يدرسون فرع علم الاجتماع نجد:[5]

- السيدة "إيلي Elie " التي كانت تدرس المنهجية رغم تكوينها الفلسفي.
- Deviller من أصل بلجيكي وكان يدرس مادة الابستمولوجيا.
- Brilland الذي كان يشـرف على مادة علم الاجتماع العام وهذا خلال الفترة الممتدة مابين1968-1969
- Beauvais على رأس علم الاجتماع الريفي
- بينما كان يدرس علم الاجتماع العمل الأستاذ فاروق بن عطية.

كما كان هناك درس خاص بقراءة مؤلف ما ويقدمه الطالب للتحليل والمناقشــة، وهذا الدرس يأتي إليه الطلبة من كل الفروع وكان الحضور عام وبدون تنقيط.

وقد جاء في دليل التعليم الجامعي بالجزائر "بأن الشهادة الليسانس في علم الاجتماع كانت تتطلب أربع شهادات زيادة على شهادة الدراسات الأدبية العامة وهي: علم الاجتماع، علم النفس الاجتماعي، علم الاقتصاد السياسي والاجتماعي (كان يدرس في كلية الحقوق)، وعلم الاجتماع وانتوغرافيا شمال إفريقيا، الجغرافيا البشرية والاقتصادية لشــمال إفريقيا، والديمغرافيا. وهو ما يؤكد تصــريحات الدكتور **عبد الرحمان بوزيدة** حول نظام الشــهادات الذي كان سائدا في تلك الفترة.[6]

ومن هذا نلاحظ وجود علم الاجتماع في العديد من التخصــصـــات حيث لم يكن يدرس فقط في فرع علم الاجتماع بل كان يدرس في الفلسـفة وغيرها من التخصـصـات، وبعد ذهاب إيميل سـيكار الذي آذار فرع علم الاجتماع لمدة 3 سنوات من 1963 إلى غاية سبتمبر 1967 نجد الدكتور **مصطفى بوتفنوشنت** يقول بأن: " فرع علم الاجتماع أحس بالفراغ الذي تركه ذهاب "**سيكار**" وأمام هذا الوضع أصبح فريق متكون من 3 أساتذة وهم "De villiers و Leaum وHélie " يشرفون على هذا الفرع ولكن كل القرارات كانت تأتي من عند نائب العميد لجامعة الجزائر حيث كان " **إدريس شـــابو" Driss Chabou** يشـــرف على مجمل العلوم الاجتماعية، حيث كان ذلك أكبر عائق انعكس ذلك سـلبا على العلوم الاجتماعية، خاصـة من حيث التسـيير المركزي والوقوف أمام كل المبادرات ليكلف بعدها فاروق بن عطية لإدارة فرع علم الاجتماع ســـنة 1969 وترك بعدها هذا الفرع نظرا للصـعوبات والمشـاكل التي وجدها ليتولى عبد الرحمان بوزيدة رئيسـا لهذا الفرع خلال السـنة الدراسية 1971/1970 .[7]

وعليه يعتبر كل الأســاتذة الآتية أسماءهم من بين الأســاتذة الأوائل في علم الاجتماع في هذه الفترة، وكلهم كانوا على راس إدارة فرع علم الاجتماع:[8]

- أ. فاروق بن عطية
- أ. سيدي بومدين
- أ. عبد الرحمان بوزيدة
- أ. سماتي محفوظ
- أ. عبد المجيد مزيان

- أ. جمال مصباح
- أ. بن سلمان

ومقارنة مع ما هو عليه اليوم النظام التعليمي، نجد أنه في عهد نظام الشهادات "لم يكن التخرج في علم الاجتماع يحتاج إلى أكثر من ثلاث سنوات: سنة تحضيرية وسنتين للشهادات"

- **مرحلة إصلاح منظومة التعليم العالي: الفترة الممتدة من (1971-1984)**

خلال هذه الفترة كان تسيير أمور المجتمع تحت سيطرة الحزب الواحد والمركزية، ما جعل المسؤولين يستعملون وظائفهم في تكريس ايديولوجية النظام. وفي هذا الصدد يقول **جمال معتوق" كذلك نجد أن علم الاجتماع والمنشغلين به جندوا للدفاع عن الإيديولوجية الاشتراكية أي إيديولوجية الحزب الحاكم. و عليه نجد أن علم الاجتماع تحول من علم أكاديمي- علمي- إلى علم إيديولوجي، ونفس الشيء ينطبق على الطلبة حيث كان الخطاب الرسمي ينظر إليهم بمثابة حماة الإيديولوجية الاشتراكية وأبواقا لها** ".[9]

و في هذه الفترة نال علم الاجتماع نوع من الاهتمام والعناية به من خلال الإصلاحات التي طرأت عليه وعلى التعليم العالي، أما البرنامج الخاص بعلم الاجتماع و التخصص كانت موجودة وتعبر عن السلطة الحاكمة ،فمثال لتكريس الثورة الزراعية تم فتح تخصص ريفي وحضري وتخصص علم اجتماع صناعي لخدمة الثورة الصناعية . و أهم سيمات هذه المرحلة:

- ظهور سوسيولوجية وطنية ناطقة باللغة العربية تأكدت مع قرارات عام 1971 ومرسوم 21 أوت 1973التي استهدفت جزأرة الجامعة وتعريب مناهجها وتغيير نظمها البيداغوجية. وهكذا جاء قانون التعريب للعلوم الاجتماعية عامة وعلم الاجتماع خاصة سنة 1999 ولتحقيق هذا الهدف اضطرت الدولة الجزائرية إلى طلب المساعدة من المشارقة للتدريس و السهر على تعريب الجزائريين.
- امتد تدريس علم الاجتماع إلى بعض التخصصات كعلم النفس، القانون، الهندسة المعمارية الجغرافيا، الصحافة، الطب،...كنوع من الإعداد للمهن ذات الطابع الاجتماعي .
- تميزت هذه المرحلة كما أشرنا سابقا بإصلاح التعليم العالي وخاصة علم الاجتماع وذلك بالانطلاق في عملية التعريب وهي العملية التي كانت ولاتزال من بين أسباب الرئيسية في تدهور هذا العلم نظرا للتسرع واللاعقلانية والعاطفة في التعامل مع القضايا المصيرية كالتعريب. [10]

- اعتبرت هذه المرحلة بالنسـبة للنظام مرحلة تكريس فكرة محاربة ما هو تقليدي والعمل على العصـرنة، لذلك نجد المنشـغلين بعلم الاجتماع في تلك الفترة قد جندوا من طرف النظام في مواجهة ما سمي في تلك الفترة بالعقليات التقليدية المتحجرة والمعادية للعصرنة والتقدم حيث يقول العياشي عنصر:" تميزت هذه الفترة بهيمنة خطاب أيديولوجي شعبوي"
- أصـبحت الجامعة مسـرح للصـراعات والتناحرات، والاقصـاء والاضـطهاد لكل من يرفض أو ينتقد الأيديولوجيا الاشتراكية (النظام)
- من المواضـيع الغالية على النظام وكانت من بين الاعمال التي لاقت التأييد ونشـرت في تلك الفترة : الثقافة الاشتراكية، التسيير الاشتراكي للمؤسسات، النمو الديمغرافي، طبقة الفلاحين في الجزائر، التصنيع، النزوح الريفي، ... الخ ، وأهملت المواضيع الحساسة والخاصة بالمواطنين وقضاياهم الاجتماعية والثقافية.
- تعرض العديد من المنشغلين بعلم الاجتماع إلى المضايقات والطرد ومختلف الممارسات العدوانية، ومنعت أعمالهم من النشر عكس الذين جعلوا أنفسهم دعاة للأيديولوجيا الحاكمة التي نالت أعمالهم الدعاية
- تحول علم الاجتماع إلى خطاب أيديولوجي يخدم المصـالح الضـيقة والخاصـة (الانحياز للنظام) بدلا ممن يعمل على خدمة المجتمع بطبقاته.
- السوسيولوجيا الجزائرية في هذه الفترة عرفت بسوسيولوجيا الدولة لأنها كانت وسيلة من وسائل التجنيد للنظام والاقصاء والتهميش للمجتمع.[11]

- **مرحلة التراجع والتقهقر: الفترة الممتدة من 0514 إلى يومنا هذا**

اتصـفت هذه المرحلة بعدم الاهتمام بهذا العلم جراء الموقف السـلبي السـلطوي وكان التراجع واضـح وذلك لاهتمام السـلطات بالعلوم التطبيقية والتكنولوجية لحجة مواكبة الدول المتقدمة واسـتيراد التكنولوجيا وأن الإشكالية ليست في النظم الاجتماعية والعلاقات السائدة، وفي هذا الإطار يقول **جمال معتوق " تغير الخطاب الرسـمي موقفا وعملا تجاه العلوم الاجتماعية..... وأصـبحت كل الأنظار متوجهة نحو العلوم الطبيعية والتكنولوجية وذلك باسم التنمية والتغيير"** [12] بحيث أصبح المسؤولين ينظرون إلى هذا العلم نظرة عدائية احتقاريه، بالإضـافة إلى الأحداث التي عرفتها الجزائر في نهاية الثمانينات " (أحداث أكتوبر 88) والأزمة الأمنية في التسعينات وما خلفته من مأساة وطنية كان لها الأثر البالغ على المسـيرة السـوسـيولوجية تمثلت في هجرة الأدمغة إلى الخارج وتعرض البعض منهم إلى الاغتيالات، وهذه المرحلة بمثابة انتكاسـة علم الاجتماع في الجزائر وتميزت ببعض الدراسـات لم ترق إلى

المستوى ضف إلى ذلك ضعف التكوين ونقص التمويل وقلة المخابر السوسيولوجية والافتقار للدراسات الميدانية التي تحلل الواقع الاجتماعي للنظم الاجتماعية و الثقافية للمجتمع وهو ما يفســـر أن العلوم الاجتماعية لم تنال حقها العلمي والاجتماعي لأن الواقع أثبت أن أغلب الدراسات الاجتماعية محصورة في الجانب النظري دون التطبيقي وهو ما يفقده شرعيته كعلم ميداني، كما أن الباحث الاجتماعي يفتقد لأبسط الظروف التي تسهل له عملية البحث، فحسب دراسة للدكتور " **جمال معتوق** " تناول فيها واقع علم الاجتماع المغاربي فوجد أن هناك طر ق تتحكم في البحث السوسيولوجي فلاحظ أن غلاء المعيشة في الجزائر تؤثر سلبا على الباحث، فتتحول من عملية شراء الكتب والوسائل المناسبة وأن عدم كفاية الدخل تنعكس سلبا على الجانب الوظيفي حيث ينصرف تفكيرهم في سد الحاجات الأولية فقط[13] .

كما أن للإرادة السياسية دور في عقم السياسات الاجتماعية فكثير من الباحثين يرجعون ذلك إلى الظروف السياسية حيث يرى أحد الباحثين أن السياسيين العرب في غالبيتهم لا يميلون إلى الدارسين الاجتماعيين، ولا يشجعون البحوث الاجتماعية بالوطن العربي، ضف إلى ذلك نقص الإحصائيات والبيانات الكمية التي تصدرها مؤسسات الدولة المتخصصة والتي تفتقد للصدق ولا تنشر لأسباب مختلفة فتزيد عمل الدارس صعوبة وإننا نتفق مع " **رضوان السيد** " في أن الإرادة السياسية تساهم في عرقلة البحوث الاجتماعية وأن فقدان الدعم أو القرار السياسي الضروري لإجراء البحوث تزيد عمل الباحث صعوبة. [14]

ويمكن إيجاز أهم أسباب نقص الاهتمام بميدان العلوم الاجتماعية، وعلى رأسها علم الاجتماع إلى[15] :

- الموقف السلطوي من السوسيولوجيا.
- اتهام السوسيولوجين بعدم قدرتهم على الاشتغال على حل المشكلات اليومية .
- محاكاة حلول المشكلات الغربية بالرغم من اختلاف البناء الاجتماعي.
- الجهل بواقع المجتمعات من طرف المشتغلين بالحقل السوسيولوجي .
- تكريس المساواة بين العلوم.
- إهمال الخصوصية الثقافية للمجتمعات.

كما يمكن تبيان انه في هذه الفترة نال علم الاجتماع التهميش و التقزيم ،كما أفرغت البرامج من الشعارات و المفاهيم ذات الصبغة الاشتراكية ،و تم الاستغناء عن المنشغلين بعلم الاجتماع ، بحيث أصبح المسؤولون ينظرون لهذا العلم نظرة عدائية [16].ولا يمكن إهمال أحداث أكتوبر 1999 التي ميزت الحياة الاجتماعية

و السياسية و الثقافية للبلاد ،وكانت لها انعكاسات على توجهات البلاد عامة والممارسة السويسولوجية خاصة، وظهر التيار الإيديولوجي الإسـلامي ،وتجسـدت هيمنته على مسـتوى البرامج في مقياسـين مقياس المنهجية الذي أصبح تدرس في إطاره المنهجية الإسلامية كبديل عن المنهجية الغربية ومقياس علم الاجتماعي الإسلامي، ثم عرف تراجع هذا التيار مع نهاية التسـعينات بعد المصـالحة الوطنية[17] وتقبل الجزائر منذ 2004 على تبني الإصـلاح الجديد و المتمثل في نظام ل.م.د فهل سيسـمح هذا الإصـلاح بإدماج الجامعة الجزائرية ضـمن المسـتوى التعليمي العالي وتدخل في مرتبة الجامعات العالمية وتتمكن من التنافس العلمي والتكنولوجي أم أن هذه التغييرات سـتبقى شكلية

اذن ما يمكن قوله في هذه المرحلة أن علم الاجتماع كما رأيناه خلال المرحلة السـابقة، حيث كان يعمل على نشـر أيديولوجيا الدولة أصـبح بعد هذا علم منبوذاً لا قيمة له، حيث يقول العياشـي عنصـر بهذا الصـدد: " أنه خلال هذه الفترة اتسـم الموقف الرسمي بثلاث خصـائص هي: أولاً: انتقاص القيمة الاجتماعية للعلوم الاجتماعية عموما وعلم الاجتماع خصـوصـاً. ثانيا: تجاهل الدور الحقيقي الذي يمكن أن يلعبه علم الاجتماع في التأثير في التحولات الجارية في المجتمع. ثالثا: في الوقت نفسـه هناك محاولة الاسـتفادة من الفرص التي تقدمها العلوم الاجتماعية عموماً في بسـط الهيمنة والحفاظ على السيطرة التي تتمتع بها النخبة الحاكمة سواء في المؤسسـات السياسية و الاقتصـادية والاجتماعية18

وعليه فقد شـكلت هذه المرحلة منعطفا حاسماً بالنسـبة للمسـيرة السـوسـيولوجية بالجزاءير، فبعدما كان هذا العلم علم تجنيد وعلم تقدمي وثوري أصبح مع التوجه الليبرالي للبلاد علما منبوذاً فاقداً لكل المكاسب التي تحصل عليها في المراحل السـابقة، وهذا بالرغم من ضـآلتها. فكما أشـرنا سـابقا أصـبحت كل الأنظار متجهة للعلوم الطبيعية و التكنولوجية، وذلك باسم التنمية والتغيير.

حيث اعتبرت هذه المرحلة من المراحل الحسـاسـة في مسـيرة علم الاجتماع ومن الصـعب الكلام عليها في بضـعة اسطر نظراً لتشعبها وتذبذب فتراتها

ففي هذا المرحلة حدثت الكثير من الاحداث، خاصة احداث أكتوبر 1988، حيث ولأول مرة خرجت الجماهير للمطالبة بالتغيير والديمقراطية، بالإضـــافة إلى دخول البلاد في دائرة العنف والإرهاب وقمع الحريات وغيرها من

الأحداث التي انعكســت ســلباً على هذا العلم والمنشــغلين به، طذلك هروب العديد منهم إلى الخارج او تعرض بعضهم للقتل أو السجن، ل خذا زاد من ضياع هذا العلم عندنا.

ورغم المحاولات العديدة لإصــلاح التعليم العالي وخاصــة العلوم الاجتماعية وعلى رأســها علم الاجتماع إلا ان وضــعية هذا الأخير مازالت غامضــة والفوضــى التي تتخبط فيها اقســام علم الاجتماع اليوم والمتمثلة في البرامج وتعديلها المتسرع وغير العقلاني، وكذا الانتشار الرهيب لإقسام علم الاجتماع عبر كافة الوطن حيث يفوق عددها 13 قســم عبر مختلف الجامعات والمراكز الجامعية بالإضــافة إلى العدد الهاءيل من الطلبة المتوجهين إلى هذا التخصص خاصة في فترة أين كان يوجه له أضعف الطلبة، مما أثر ذلك على نوعية المتخرجين .19

وختاماً لهذه المرحلة يمكن القول:

أن علم الاجتماع والمنشغلين به في هذه المرحلة أصبحوا من المنبوذين غير المرغوب فيهم.

الفوضى العارمة على مستوى أقسام علم الاجتماع حيث أصبحت في تزايد وغم عدم الطلب على علم الاجتماع والمتخرجين من هذا التخصص.

البرامج التي لا تعرف استقرار والتعديلات التي تتعرض لها والتي لا تتماشى والمرحلة الحالية.

سيطرة السياسي على العلمي.

عدوانية المجتمع وانغلاقه.

ضعف منظومة التكوين.

المتاجرة بالبحث وهي ظاهرة جديدة تعيشها الجامعة الجزائرية عامة وأقسام علم الاجتماع خاصة، حيث انتشرت العديد من الفرق للبحث ولكن النتيجة لا شيء يستهل الذكر، فالوزارة الوصية لتفادي الصراع أصبحت توزع المنح لهذه الفرق دون مراقبة أعمالها.

قائمة المراجع المعتمدة:

1 – جمال معتوق:،واقع وآفاق علم الاجتماع في المغرب العربي، (عمل غير منشور)، أطروحة دكتوراه دولة، قسم علم الاجتماع جامعة الجزائر ،1999 ،2000 ص 81

2 – جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا ، الجزائر ،ط1،2006 ،ص ص 79-74

3 – بن حمزة حورية، دراسات سوسيولوجية حول العمل في الجزائر

4 – جمال معتوق: علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى النكبة، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية، ص 74

5 – المرجع نفسه، ص 75

6 – المرجع نفسه، ص 76

7 – المرجع نفسه، ص77

8 – المرجع نفسه.

9 – جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا ، مرجع سبق ذكره، ص 64-68

10 – محمد حافظ دياب،علم االجتماع في الجزائر:الهوية والســـؤال ، بيروت،مجلة المســـتقبل العربي، العدد ،128 1440 ص 4430

11 – جمال معتوق: مسيرة علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى النكبة، ص ص 77-78

12 – جمال معتوق:،واقع وآفاق علم الاجتماع في المغرب العربي، (عمل غير منشـــور)، أطروحة دوكتوراه دولة، قســـم علم الاجتماع جامعة الجزائر 1999 ،2000 ص 85

13 – المرجع نفسه

14 – رضوان السيد :مشكلات البحث الاجتماعي العربي، مجلة الفكر العربي سنة ،6 ،1985 ص 7

15 – يوسف حنطبلي :علم الاجتماع في الوطن العربي بين الفكر المفروض والواقع المفروض (عمل غير منشور) رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع جامعة الجزائر.

16 – جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا، مرجع سابق، ص 96

17 – جمال معتوق، علم الاجتماع في الجزائر من النشأة إلى يومنا هذا، مرجع سابق، ص 34

18 – العياشي العنصر: أزمة أم غياب علم الاجتماع؟، مجلة المستقبل العربي، العدد 137، بيروت،1990، ص 39

19 – جمال معتوق : مسيرة علم الاجتماع في الجزاءير من النشأة الى النكبة، مرجع سابق ،ص 79– 80 .

المحور الثالث : الجزائر المستقلة : إسهامات سوسيولوجية جزائرية

المحاضرة الثامنة : جيلالي اليابس Liabes Djilali

- نبدة تاريخية عن حياته ومؤلفاته
- التحليل السوسيولوجي لدراسته حول "المقاول والبورجوازية الصناعية في الجزائر
- التحليل السوسيولوجي لدراسته حول "الرأسمال الخاص وأرباب العمل الصناعي في الجزائر" 1984م

نبدة تاريخية عن حياة جيلالي اليابس ومؤلفاته

1- حياته:

ولد بسيدي بلعباس سنة 1948 من عائلة ثورية ، حيث استشهد شقيقاه خلال الثورة التحريرية، ودرس الفلسفة في المدرسة العليا للأساتذة، ثم تخصص في علم الاجتماع ، حيث تحصل على شهادة الدرجة الثالثة في جامعة Marseille – Aix بمارسيليا سنة 1982 بأطروحة موسومة: رأس المال الخاص وأرباب الصناعة في الجزائر من 1962 الى 1982.

• Capital prive et patrons d'industrie en Algerie 1962-1982 : pour l'analyse des couches sociales en formation Propositions

ناقش أطروحة دكتوراه الدولة سنة 1988 بجامعة باريس عنوانها: مؤسسات ، منظمون، وبورجوازية الصناعة في الجزائر : عناصر سوسيولوجيا المسعى .كما شغل منصب مديرا لمركز البحث في الاقتصاد التطبيقي والتنمية بوزارة التخطيط سنة 1990 ، وعين وزيرا للجامعة والتعليم العالي سنة 1991 -1992 ثم مديرا عاما للمعهد الوطني للدراسات الاستراتيجية الشاملة 1993 ، حيث أشرف على دراسة مستقبلية حول التنمية في الجزائر سميت ب "جزائر 2005" لتحديد امكانيات وآفاق الاقتصاد الجزائري ما بعد البترول ، وبتاريخ 16 مارس 1993 أغتيل بالقرب من منزله بمدينة القبة بالعاصمة.

2- مؤلفاته:

يعتبر "جيلالي اليابس" من أبرز المفكرين الأكاديميين الذين ساهموا بالعديد من المؤلفات والمداخلات والندوات العلمية، رغم صغر سنه حيث لم يكن يبلغ 45 سنة عند وفاته، ليناقش في مرحلة معينة : واقع التعليم العالي وعن التنمية وسيرورة المجتمع، وكان من بين أهم ما قدمه من أعمال ما يلي

- دول العالم الثالث والنظام العالمي الجديد .
- البحث عن الانضباط.
- المقاول والبورجوازية الصناعية في الجزائر
- رأس المال الخاص ومديرو الصناعة في الجزائر.

التحليل السوسيولوجي لبعض دراسات جيلالي اليابس

أولا: التحليل السوسيولوجي لدراسته حول "المقاول والبورجوازية الصناعية في الجزائر[1]

تضـمن هذا العمل مسـألة هامة تتعلق بإشـكالية تراكم رأس المال في الجزائر بعد الاسـتقلال، ونموذج التنمية الذي سـعت اليها الجزائر بمنهج رأسمالي أو اشـتراكي، والذي عالجه في تحديد التطورات في المراسـيم والقوانين بشـأن اختيارات مرحلة الثمانينات 1982 ، لبعث توجه نحو الليبرالية والتعددية والحرية الاقتصادية.

فحسبه لم يمنع التوجه الاشتراكي من ظهور بعض المقاولين الخواص الذين ساهموا في النسيج الصناعي الاقتصادي الجزائري، إلا أن دورهم في التنمية لم يعرف له أهمية بقدر ما وجهت الأولوية للمشـاريع الضـخمة ذات القاعدة الكبيرة والتي كانت تعتبر السبل الوهمية لتحقيق التنمية الاقتصادية.

في تلك الفترة وبالرغم من المراقبة والحدود المطروحة اسـتطاع هذا القطاع التطور والتهيكل القطاع العمومي في هذا السـياق درس الباحث الطبقة البرجوازية الصـناعية في علاقتها بالقطاع العمومي (علاقة القطاع العام بالقطاع الخاص).

وهو يرى أن: الطبقة البرجوازية الصناعية في علاقة قوية بالدولة الوطنية وأساس وجودها وتشكلها لا يعود لعملية إعادة إنتاج الطبقة البرجوازية السـابقة في العهد الاسـتعماري وإنما يعود إلى اسـتمرار لطبقة برجوازية تجارية راكمت رأسمالها بعد الاستقلال.

فنشـأتها ترجع إلى تهيكلها تمركزها إلى جانب القطاع العمومي الذي كان يوفر لها المسـاعدة والحماية، فحسـب الباحث سعت هاته الطبقة دائما إلى تمكين علاقتها مع جهاز الدولة، إذ لا يمكن أن ينجح إلا الذي حضر أرضية للمؤسسة بتيسير أحسن مصالحه ولرأسمال علاقاته وذلك بتزويج أولادهم من موظفين سامين ونجاح القطاع الخاص لا يعود إلى الاسـتغلال الأمثل للموارد الاقتصـادية الأولية والفرص المتاحة فحسـب وإنما هو مرهون بتهيئة الظروف والأرضية اللازمة لذلك وهذا باستغلال أمثل لرأسمال العلاقات، فالدولة دور مباشر في تكوين القطاع الخالص وهو ما جعلهم مرتبطين ارتباطا تبعيا للدولة على المستوى الإيديولوجي والسياسي والاجتماعي.

ولقد حاول جيلالي اليابس تحديد الشـروط الاجتماعية التي سـاهمت في ظهور فئة من المقاولين من خلال اعتماده على بعد المسـار الاجتماعي وضـبط من المتغيرات السـوسـيولوجية منها : الأصـل الاجتماعي، الأصـل الجغرافي ، المستوى التعليمي، المسار المهني ...ومن بين أهم التساؤلات التي طرحها في هذه الدراسة الأكاديمية :

- ما معنى أن يكون هناك مقاول في الجزائر؟ .
- ما هو المحتوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وأيضا السياسي الواجب إعطاؤه لفئة المؤسسات؟ .
- هل لجماعات المقاولين تعبير عن انشغالاتهم؟ .
- ماهي أهمية مجمع المقاولين؟ .
- ماهي أنماط التجدير الموجود لديهم؟ .
- هل لهم خبرة خاصة؟ .
- كيف يعيشون في علاقاتهم مع عمالهم وموظفيهم؟

كانت هذه التســـاؤلات بداية لعمل جاد حول خلفية نمو الرأس المال الخاص في الجزائر في حقبة زمنية اعتمدت فيها آ ليات التنظيم والتشريع وما كان من تسهيلات خاصة ببعث النفوذ لذوي الربحية السريعة . كما حاول دراسة الاقتصاد الموازي (الاقتصاد غير الهيكلي)، وتحديد نوع المقاولين وتخصصاتهم، واحصاء عدد الخواص الجزائريين، وعالقة القطاع الخاص بظروف التنمية في الجزائر؟

نتائج الدراسة:

حاول من خلال هذه الدراسة تحديد جملة من المسائل التي تخص الاقتصاد الجزائري والعلاقات داخل المجتمع ما بعد الاستقلال وكيف كان نمو القطاع الخاص في ظل نهج اشتراكي تبنته الجزائر منذ :شخص له كافة الصلاحيات في المؤسسة فهو منشأها ومسيرها ومديرها في كل المجالات، فهو 1962 ، وكانت أهم ما خلصت اليه هذه الدراسة مايلي:

- يعرف المقاول الجزائري هو الشخص الذي وظيفته تجميع ثم تسيير ثم إعادة إنتاج[2] ."
- ان استراتيجية المقاول الجزائري في خلق مؤسساتهم وانشاء مشاريعهم الصناعية تتمثل في الناط الاقتصادي والتجاري المعتمد خارج حدود الجزائر، فأصول المقاول الجزائري هي جماعة من التجار من أصول ريفية ، نشطوا في التجارة خارج الجزائر ومع صدور قانون الاستثمارات سنة ،1966 حولوا نشاطاتهم لقطاع الصناعة في الجزائر، فبقيت ذهنيتهم وتفكيرهم بذهنية التاجر(البائع) على حساب التفكير الاداري العقلاني ، فكانوا لا يستخدمون أو يوظفون ذوي التخصص في المهن والأعمال وانما الأقارب والمصالح هي من تحدد لهم الموظف، ومنه كانت النتائج سلبية على العمل والمؤسسة.
- كما اهتم الباحث بتحليل ودراسة الطبقة البورجوازية في الجزائر، وخاصة المقاولين الخواص، فاستنتج أن المقاول هو الذي يسعى الى تجميع رأس المال وتحقيق مشروع اجتماعي بورجوازي، من خلال ما يحمله من تسهيلات حكومية أو سند قانوني، بارتباط ذلك بالمستوى الأيديولوجي، والسياسي والقضائي .

- وتبين أن "البورجوازية الصـناعية تدعي مشـاركتها في اناء اقتصـاد متطور ومسـتقل وسـوق وطنية أي مشاركتها في بناء الدولة اقتصاديا، ويطالبون بحماية الصناعة والتجارة ومن جهة أخرى يرفضون تدخلها في نشاطهم لما لهم من كامل الحرية للمبادرة[3] "
- لقد أكد في دراسته أن أغلب المقاولين، والبوجوازية الصناعية " قد استفادت من هذا المروع الاجتماعي لعملية التحديث ، بل اسـتحودت عليه حتى جعلت منه مشـروعها الخاص في الوقت الحاضـر، ولكن نعتقد أن اللبيرالية ومن حيث أن البورجوازية الصغيرة في المؤسسات لا تؤسس لمشاريع تنمية ديمقراطية مما لا يمكنها من حل المشاكل التي يعاني منها المجتمع المتخلف... يحصل الرأسماليون الصناعيون على فائدة معتبرة من السـياسـة الاجتماعية للدولة من حيث أنهم يسـتفيدون في حدود كبيرة من النفقات التي تسخرها الدولة في إعادة إنتاج قوة العمل"..
- وكان انتفاعها بالتدعيم الموجه للمواد الأولية كالحبوب والمواد الأولية وغيرها ليعاد تصـنيعها وبيعها بأسـعار غير مدعمة ، اضـافة الى التأمين والطب المجاني والتمدرس والعانات العائلية والمنح ، والدواء المدعم وغيرها من الامتيازات التي انتفعت بها هذه الطبقة لتكون تراكما للرأس المال الخاص، واعادة انتاج الرأس المال .
- لاحظ في تقييم للبورجوازية الصـناعية في الجزائر أنها تعمل على دمج بين ما هو حديث تكنولوجيا وتقليدي، بهدف امتصاص البطالة وتلبية السوق المحلية بالسلع والحاجيات الاستهلاكية الجزائرية، لكن علاقات العمل تبقى تقليدية أكثر(فهناك علاقات قبلية، وجهوية، وعائلية، تكون في مسـائل هامة كالتوظيف والتكوين والمنصب الإداري وغيرها...) فأفراد العائلة مشتركون في المؤسسة الواحدة ويستغلون العمال للحصول على فائض القيمة.
- كما أكد على الآثار المترتبة عن سياسة الدولة على رأس المال الخاص، فال يمكن " دراسة قطاع خاص دون الرجوع الى ظروف اسـتغلال قوة العمل ، فال يمكن للرأس المال وتحليله أن يعيد انتاج نفسـه دون استغلال قوة العمل منها حتى استغلال النساء والأطفال في البيوت في مجال الخياطة والحياكة .
- ان سياسة الدولة في فترة التدعيم والاشتراكية قد ساهمت في اعادة انتاج قوة العمل المأجورة في القطاعين العام والخاص على السواء[4].
- حصـول الرأسماليين والمقاولين الخواص على فائدة معتبرة من السـياسـة الاجتماعية للدولة من حيث أنهم يستفيدون في حدود كبيرة من النفقات التي تسخرها الدولة في اعادة انتاج قوة العمل وتكوين مؤسساتهم الخاصة دون لتكاليف مادية خاصة.

خلاصة الدراسة:

يقول جيلالي اليابس في هذه الدراسة المتميزة والأولى في مجال معالجة الرأس المال الخاص في الجزائر، أن : الشعبوية في صورتها نموذج تنموي يرتكز على اعتقاد مفاده أن التصنيع يحمل في طياته منطق يخفف من اللامســـاواة الاجتماعية أو من اللاتوازنات الجهوية، فهي عقلنة تدفع الى التراجع اللاعقلانية للمجتمع التقليدي، وذلك كلما شيدت مؤسسة صناعية جديد ة يتحقق الهدف التنموي، لكن الواقع كان عكس ذلك تماما .فهناك ارتباط وثيق بين رأس المال الاجتماعي والرأس المال الاقتصـــادي، وعدم الانتباه الى مســـألة هامة وهي عدم اعطاء الأهمية للبعد الاجتماعي في التنمية الاقتصـــادية، مما جعل ازدواجية بين الحداثية والتقليدية، والأبوية والتكنوقراطية، لكنها كلها في آخر الأمر عوائق للتنمية.

ثانياً: التحليل السوسيولوجي لدراسته حول "الرأسمال الخاص وأرباب العمل الصناعي في الجزائر" 1984م

له نظرة سوسيولوجية وتفسير هام حول المؤسسة العمومية في الجزائر، حيث أنه يرجع إلى ظروف تاريخية ماضية لتفسير ظروف آلت إليها المؤسسة الاقتصادية الجزائرية، لقد درس الباحث حقبة الستينيات والسبعينيات وأعطى رؤية لعدم نجاعة المؤسسات العمومية وعدم فعاليتها.

يقول الباحث أن التصنيع في الجزائر كان ممكنا بفضل الريع الليبرالي والتي كانت تتحكم في الدولة وعليه، وبنسبة هاته الوضعية أصبحت هناك مؤسسات عمومية تابعة للدولة، والدولة تتدخل في شؤون عمل المؤسسة ، ومنه أصبح المواطن تابعا وخاضعا للدولة في شتى المجالات، والمؤسسات لا تقوم بحل مشاكلها بصـــورة منفردة وإنما الدولة هي التي تتدخل بذلك. والملاحظ أن الدولة كانت تتدخل دائما من أجل تقديم الحلول للعجز الذي كانت تحققه هاته المؤسسات، وهي نقطة هامة تفسر وجود المؤسسات العامة وعدم زوالها. وبما أننا في بلد اشتراكي وتبنينا النموذج الاشتراكي فالدولة تلبي حاجيات المواطنين في شتى المجالات.

الدولة تتدخل بصفة مستمرة خاصة المؤسسات التي لم تكن تحقق أرباح وهو عكس ما هو في الغرب، فالمؤسسة التي لا تستطيع أن تروج منتوجها في السوق ولا تستطيع أن تنافس ولا تحقق أرباحا تفلس وتحل مباشرة، لكن في الجزائر كانت الدولة دائما تقوم بتغطية العجز عن طريق البنوك.

يقول الباحث : **"أن الدولة أصبح لها طابع عجيب غير موجود في المجتمعات الغربية."**

الباحث رجع إلى خصوصيات المجتمع الجزائري قبل السبعينيات وقال أن المجتمع الجزائري يتميز بوجود قبائل (مجتمع قبلي)، فهناك عائلات ممتدة ولهم خصـــائص المجتمع الجزائري، اليوم علينا الرجوع إلى

خصوصياته في الماضي لأن الجماعة تخضع لقاعدة القبلية، وهناك مجلس القادة يضم هؤلاء القادة، أراد الباحث أن يقارن المجتمع الجزائري قبل وبعد الاستعمار.

في الوهلة الأولى نجد أن هناك اختلافات، علاقات اجتماعية تغيرت، الهيكل تغير لكن الأفراد (العمال) ظلوا يتصرفون بنفس الطريقة كالفترة ما قبل الاستقلال، هذا المجتمع الجزائري قائم على النظام الاشتراكي والذي يعطي الأولوية للدولة فيمكن القول أن التصـور الذي كان موجود عند الجزائريين قبل الاسـتقلال أعيد إنتاجه بفضل هذا النظام السياسي.

إذا أخذنا المؤسـسـة الجزائرية نلاحظ أن العمال يحافظون بقوة على التصـور المتمثل لخضـوع الجماعة للقائد، هذا القائد الذي أصـبح يمثل الدولة، كما أن الخطاب الرسمي للدولة يكرس الأفكار والتصـورات التي كانت موجودة بحيث أن الدولة تتكفل بهؤلاء العمال، وهو ما جعل العمال يسـلكون سـلوكيات عقلانية.

إن النظام الاشـتراكي دعم أكثر السـلوكيات الموجودة في السـابق، كما يقول الباحث: « لما انتقلنا من الاقتصادي المركزي إلى اقتصاد السوق خلال السبعينيات والثمانينيات نلاحظ أن الأمور تغيرت، فالدولة أصـبحت تتخلى تدريجيا عن العمال، فأصـبحت تفرض على العمال ضـرورة الإنتاج من أجل الأجر عكس السابق أين كان الأجر مضمون».

نلاحظ وجود منطقين في المؤسسة العمومية بداية الثمانينات:

المنطق الأول (يفضل الجماعة): الدولة تقوم بالدور الاجتماعي أكثر من الأدوار الأخرى.

المنطق الثاني (يفضل الفرد): أي مكافأة الفرد حسب عمله فالذي يعمل له مقابل والعكس.

هاته الوضعية أثرت على سير المؤسسات تأثيرا بالغا بحيث أن أهداف المؤسـسـة تنفصـل عن أهداف الجماعة لأن في السـابق الدولة تتكفل بكل الأمور رغم العجز وتغطي النقائص، بينما في الثمانينات أصبحت الدولة تفرض على المؤسسة إنتاج مردودية وفائض مالي، فالمؤسسة التي تنتج فائضا تبقى والتي لا تحقق فائض تزول.

خلاصة الدراسة:

من خلال التحليل السوسيولوجي للباحث الجيلالي اليابس يمكن أن ننبه أنه يمكن تفسير ظروف حالة المؤسـسـة العمومية من خلال الرجوع إلى خصـوصـيات تاريخية ماضـية لأن المجتمع ليس بمعزل عن كل الظروف التاريخية.

المراجع المعتمدة:

[1] - D.Liabes : Entrepreuneur et bourgeoisie d'industrie sociologie de l'entrprise,T1,DEA ;1988.

2 - op.cit p.144

3 - نيار نعيمة : الخلفية المهنية والاجتماعية للشباب المنشئ للمؤسسات الصغيرة مذكرة ماجيستير في علم الاجتماع العمل، جامعة الجزائر، 2008 /2007،ص 45

4 - فايزة درقاوي: تأثير العوامل السـوسـيو- ثقافية على المقاول الجزائري، مذكرة شـهادة الماجيسـتر ، جامعة سعيدة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية سنة 2015/2016 ص. 28

المحاضرة التاسعة: عــلي الكنـــــز

1- نبذة تاريخية عن حياة علي الكنز ومؤلفاته

2- اهتمامات علي الكنز السوسيولوجية

3- التحليل السوسيولوجي لدراسة "علي الكنز" حول علاقة التصنيع بالمجتمع

1- نبذة تاريخية عن حياة علي الكنز ومؤلفاته

حياته:

ولد علي الكنز سنة 1946 بالحروش بسكيكدة، وتوفي سنة 2020 بفرنسا، شغل في بداية مشواره العلمي منصب أستاذ مساعد في الفلسفة بجامعة الجزائر بين سنتي 1970 - 1974 ثم أستاذ في علم اجتماع بنفس الجامعة الى غاية سنة 1993 وأيضا منصب مدير مركز البحث : CREAD مركز بحوث الاقتصاد التطبيقي للتنمية في الجزائر. كما عمل أستاذا مشاركا بجامعة تونس ، بين سنتي 1993 -1995 ثم أستاذ وباحث في علم الاجتماع في فرنسا بالجامعة منذ 1995 الى غاية وفاته في نوفمبر من سنة ،2020 وكان عضوا في الجمعية العربية لعلم الاجتماع وبمجلس التنمية والبحث في العلوم الاجتماعية بإفريقيا وكذلك ساهم في العديد من جمعيات بحثية أخرى[1] .

مؤلفاته: لقد ساهم في كتابة مجموعة من المؤلفات منها[2] :

- Monographie d'une experience industrielles en Algerie : Complexe

  siderurgique d'El Hadjar Annaba ,1984.

- Complexe siderurgique d'El Hadjar Annaba ; d'une experience industrielles en Algerie ;ed.du CNRS 1987.
- Le monde Arabe aujourd'hui ;ed.L'Harmattan, paris ;2003 .
- Les sciences sociales en afrique cinquante ans apres leurs indepandances.
- Au fil de la crise 4 etudes sur l'Algerie et le monde arabe alger,1991
- L'economie de l'Algerie , maspero ;paris,1980
- Les maitres penseurs notes de lecture ;ENAL, Alger 2008.
- L'Algerie et la modernite ; codesria, kathala ;Dakar ;paris,1989

2- اهتمامات علي الكنز السوسيولوجية:

عرف علي الكنز (1946-2020) بكونه أحد الرواد الثالثة الذين تركوا بصـمة واضـحة على علم الاجتماع، وقد ضمت هذه المجموعة من الجيل الأول المؤسس لعلم اجتماع العمل في الجزائر بالإضـافة الى كل من "سعيد شيخي" و"جمال غريد " حيث قام الثلاثي بدراسة حول مركب الحجار بعنابة تحت عنوان : **الصـناعة والمجتمع حالة مصـنع الصـلب والفولاذ بعنابة سـنة ،1982** ثم تبعوها بأعمالهم الفردية على شـكل رسـائل لدكتوراه الدولة، كانت الأولى مع "**علي الكنز** "برسـالة عنوانها "**مونوغرافيا التجربة الصـــناعية في الجزائر**: مركب الفولاذ بالحجار، جامعة باريس 1983 والتي نشرت فيما بعد بفرنسا بعنوان: **تجربة صناعية في الجزائر–مركب الفولاذ في الجزائر– سنة 1987** فكان مفكرا موسوعيا بتخصصه في الفلسفة وفي علم الاجتماع غزير الإنتاج، حيث ترك كما هائلا من الأعمال المنشورة في صيغة كتب ومقالات ومقابلات صحفية وندوات وأبحاث ميدانية. وتم تكريم " **علي الكنز**" بجائزة "**إبن خلدون للعلوم الاجتماعية "بالدوحة بقطر**، بتقديمه لمحاضـــرة موسومة: **الشارع العربي كمكون للمجتمع المدني**، في المؤتمر العلمي الدولي تحت عنوان: **المجتمع المدني في البلاد العربية**." وتناولت موضوعاته البحثية موضوع علم الاجتماع العمل وتصوراته حول العمل وأهم الظواهر الاجتماعية الخاصـة بالعمل ومحيط الصـناعة في الجزائر، فمن خلال تحليله للواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري اسـتخلص بعض المسـائل العلمية المتعلقة بالتصـنيع والتنمية في الجزائر. فقد اهتم بالبحث السوسيولوجي كوسيلة نقدية لقراءة الواقع الجزائري، وكان يدافع على الفئات الهشة والضـعيفة والطبقة العمالية، كما انضـم الى مراكز بحثية وهيئات علمية جزائرية وعالمية، فكان أسـتاذا وباحثا أكاديميا محافظا على حريته وعلى أفكاره وانتقاداته[3]..

3- التحليل السوسيولوجي لدراسة علي الكنز

دراسة "علي الكنز" حول علاقة التصنيع بالمجتمع :

تضـمنت أطروحة علي الكنز سـنة 1983 دراسـة علمية ميدانية حول علاقة التصـنيع بالمجتمع، وكان حقل البحث الميداني بمصـنع الحجار في عنابة، باعتباره أضـخم مصـنع للتعدين في الجزائر من حيث الهياكل وكذا من حيث حجم العمالة 18000 عامل. وقام بتحليل أشـكال التصـورات والممارسـات التي تجسـدها الطبقة العمالية في المصـنع، ومرجعيتها كطبقة لها خصـوصـيتها ولها ثقافتها، وبما أن التصـنيع في الجزائر حديث في تلك المرحلة من التنمية الصـناعية، فقد عرفت الطبقة العمالية في المصـنع عدم اسـتقرارها، وتحمل أفكار وقيم غير متجانسة[4] .

كما تلتها أبحاث ميدانية أخرى، خصـت المعالجة السـوسـيو- نقدية لواقع التنمية الصـناعية في مصـنع الحجار بعنابة، وتم تدعيم هذا البحث الميداني الاجتماعي والمهني لسنة 1985 في مصنع الحجار من طرف الدولة، والذي تم وفقا الإجراءات المنهجية التالية :

العينة وأدوات جمع البيانات :

تمثلت استمارة البحث كأداة أساسية من أدوات جمع البيانات في هذه الدراسة والتي أجراها الباحث **"علي الكنز"** في مركب الحجار للصناعات التعدينية لسنة 1985 شهر فيفري، مع فريق من الباحثين قاموا بتوزيع الاستمارات وجمعها على العمال والإطارات العاملة بالمصنع، حملت كل استمارة شكل كتيب، عنوانه: بحث اجتماعي– مهني وتضمنت الاستمارة 59 صفحة وأيضا صفحات التفريغ، وذلك بترقيم احصائي متعلق بكل الإجابات المقدمة من طرف المبحوثين، بهدف تسهيل عملية التحليل والتفسير واستخلاص النتائج. كما تم طبع 1800 استمارة كانت موجهة لعينة واسعة من مبحوثين على مستوى وحدات المركب، لتكون أكثر تمثيلية للمجتمع الصناعي في مركب الحجار في عنابة، وتضمنت الاستمارة 134سؤال، وكان التقديم لمحتوى البحث الميداني موجها للمبحوثين بالعبارة التالية" :انك كنت مختارا في عينة بحثنا – نعلمكم مرة أخرى أن السرية مضمونة ."

أما محاور الاستمارة فهي أربعة، وهي كالآتي:

- أسئلة متعلقة بالظروف الاجتماعية(بما فيها البيانات الأولية) من السؤال رقم 1 حول الجنس الى السؤال رقم 44 حول وضعية العامل هل هي في تحسن

- اسئلة متعلقة بالوظيفة وظروف العمل(من السؤال 45 الى السؤال رقم 76)
- أسئلة متعلقة بالعلاقات المهنية (من السؤال 77 الى السؤال رقم 99)
- أسئلة متعلقة بالإعلام والاتصالات (من السؤال 100 الى السؤال 134)

حقل الدراسة :

أما عن حقل الدراســة فهو مصــنع الحجار، ووزعت مفردات البحث على 4 مصــانع داخل مركب الحجار، لتكون شاملة لمختلف الفئات العمالية، وكذلك على الأعوان Maitrise والإطارات المسيرة للمصنع، والتي تنوعت من حيث المستوى التعليمي، والأقدمية في العمل، والتخصصات، ونوع المنصب والرتبة في العمل، واختلاف الأصول والإقامة وغيرها

ويعود تاريخ المؤسسة الصناعية SNS كتاريخ لمشروع التصنيع مخطط الثلاثي الأول، الذي سعى الى اعادة إحياء فكرة المرور الى الحداثة المستمدة من مشروع قسنطينة سنة 1958 واعادة انتاج تاريخ المجتمع الحديث ومحاولة اكتســاب ثقافة المصــنع والعقلانية الصــناعية، بما يواكب الد ول المتقدمة. وبتمويل من الريع البترولي منذ السبعينات القرن الماضي، كان بناء عدة مؤسسات صناعية منها مصنع الحديد والصلب بالحجار، وقد ادت هذه التحولات الى تغيرات بنيوية وهيكلية للمجتمع الجزائري، أفرزت عدة ظواهر سـوسـيو – ثقافية منها عدم مسـايرة التغير الحاصـل في محيط المؤسـسـة الصـناعية، مما اسـتوجب القيام ببحوث ودراسـات ميدانية لمعرفة حقيقة المجتمع العمالي ومدى تكيفه للمحيط الصــناعي، ومن بينها هذه الدراســة التي قدمها " **علي الكنز**" والتي توصــلت الى مجموعة من النتائج القيمة التي خصت مجتمع المصنع وثقافة الطبقة العاملة في الجزائر، نذكر البعض منها:

نتائج الدراسة:

- **مشروع التصنيع كهدف لتغيير البنى الاجتماعية:**

لقد تبنت الجزائر مشروع الثورة الصناعية من خلال بناء وتشييد العديد من المصانع وفقا لمشاريع التنمية جسدتها مخططات التنمية الصناعية في نهاية القرن الماضي- كما سبق عرضه – وكان الهدف خلق مناصب شغل والخروج من دائرة التخلف والتبعية الأجنبية، وتغيير للبنى الاجتماعية ، وارســـاء قيم العقلانية وثقافة التحضـــر والتمدن الصناعي.

يوضح " علي الكنز" أن مصنع الحجار هو نقطة النواة في مشروع الدولة "مسألة الحداثة" فمن خلال النصوص الداخلية للمؤسسة أي الخطاب الرسمي وخطاب المسيرين أن المهمة المسندة للحجارSNS، هي تحديث المجتمع برمته بمعنى تكوين الرجل الصناعي الجديد في الوقت الذي إعتبر العامل بمثابة الوسيط بين المؤسسة التي اكتسب من خلال تواجده بها الثقافة الجديدة، هذه الثقافة التي هو مطالب بنشرها في أسرته وفي حيه وفي محيطه بصفة عامة...وحسب" علي الكنز" لكن لقي رفض من طرف المجتمع[5].

ويقول "علي الكنز" في هذا المجال أنه" في ظل انتقال التكنولوجيا المستوردة الى المجتمع المحلي مرورا بالتنظيم الذي قام به المستحدثون، يعني أصحاب التصنيع في الجزائر في موافقة للمشروع الهادف الى تحديث المجتمع الجزائري تعتبر أي مناقشة معناه لطرائق عمله تشكيكا في مباد ئه وإعتبار أي فكرة التكيف، هي فكرة مخالفة كحل وسط وكل حل وسط كبداية هي إجهاض للمشروع ." [6]أي أن هذا المشروع يطبق بحذافيره دون نقاش أو تكييف.

وهنا يأتي دور الباحث الاجتماعي الذي تمثل في طرح اشكالية التطبيق الحرفي للنظام التايلوري في التنظيم الصناعي لمصنع الحديد والصلب بالحجار بعنابة وكشف عن مدى تصادم قيم المجتمع العمالي مع ثقافة هذا التنظيم المستورد ضمن مشروع التنمية الصناعية، بهياكله وقواعدها التنظيمية. وهذا التصلب في تطبيق القواعد التنظيمية هو سقل من قبل اطارات المصنع ونتيجة رغبتهم في عدم انشاء "مصنع متخلف" فهذه القواعد التنظيمية ستكون تحت تأثير الفضاء الاجتماعي الذي يعمل فيه المصنع[7] ومن هنا كان التصنيع ولكن فشلت الصناعة في تحقيق أهدافها الإنتاجية

- **العوامل السوسيو- ثقافية التي أدت الى افشال سياسة التصنيع:**

ان الطرح السـوسـيولوجي الذي قدمه الباحث "علي الكنز" في دراسـته " مونوغرافيا التجربة الصـناعية في الجزائر" كان حول أسـباب فشـل التصـنيع في الجزائر والذي جسـدته حقائق عديدة منها ضـعف الطاقة الإنتاجية لمصـنع الحجار، ومختلف المشـاكل التي أرهقت هذا المصـنع باعتباره نموذجا لأكبر مركب صـناعي في الجزائر، والذي كان يعول عليه كثيرا في بعث التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة. وقدمت دراسته تحليلا سوسيولوجيا حول أهم الظروف والصـــعوبات الســـوســـيو – ثقافية التي تواجه الإطارات والعمال في مصـــنع الحجار، كما عالج خلفية الصراعات داخل التنظيم الصناعي، والواقع الاجتماعي للطبقة العمالية .

وحسـب ما توصـل اليه "علي الكنز" في تحليله وفي دراسـته لواقع التجربة الصـناعية في مركب الحجار خاصـة، أن هنالك عدة عوامل أدت الى افشال التجربة الصناعية، يمكننا تلخيصها في العوامل التالية:

- التركيبة غير الرأسمالية التي تميز بها البناء الاجتماعي في الجزائر، وما ترتب عنه من عجز في اقامة تنظيم تايلوري، لان التايلورية ليست مجرد تنظيم تقني للعمل فقط، بل هي نظام متكامل وليد ونتاج للرأسمالية[8]
- عامل التبعية التكنولوجية التي أصـبحت تعد عبئا ثقيلا على المركب ونفقات الصـيانة وجلب قطع الغيار، والتي ترتب عنها أيضا تبعية اقتصادية وسياسية. وكانت بذلك أهم سبب في افشال مهمة المصنع (مصنع الحجار) والذي أريد منه أن يكون مصـــنعا بيداغوجيا يتم فيه تكوين المجتمع وفق تقنيات ومؤهلات جديدة ويتفوق فيها منطق العقلانية الصناعية.
- التحالف غير المنطقي بين مشروعين متناقضين وهما البيرقراطية السياسية من جهة، والتقنوقراطية التي تمثل أســاس النشــاط الصــناعي الحديث (المهندس والتقني الســامي)من جهة ثانية، لان المفروض أن يكون التحالف بين المنتجين: العمال والتقنوقراطيين، كونهما طرفي الانتاج في المصـــنع، واللذين كانا عليهما أن يقفا ضد النخبة البيروقراطية السياسية غير المنتجة التي تحتل مكانة ادارية وسياسية داخل المصنع.
- المركزية في تسـيير المصـنع والصـعوبة الشـديدة لظروف العمل في أغلب الورشـات، وطبيعة المسـؤوليات المســندة الى الإطارات، كلها كان لها تأثير في تحول هذه الأخيرة نحو الوظيفة الإدارية أي تغيير منصـــب الكفاءة التقنية الى منصـــب الكفاءة الإدارية، قصـــد الحصـــول على الامتيازات المادية الممنوحة للطاقم الإداري وخصوصا لضمان الاستقرار الوظيفي.[9]
- نمو الحراك المهني نتيجة لعدة مشـاكل اجتماعية والتي تتمثل في الأجور الزهيدة وانعدام السـكن، كما نمت العدائية والصـــراع بين مختلف الرتب المهنية مما جعل المســـؤولين الذين ينتمون الى الجانب التنفيدي، يتوجهون الى مناصب ادارية تجبرهم على مواجهة المشاكل منها الإنتاج الصعب، وعداء العمال ومظالمهم،

خاصـة أن شـبكة الأجور لم تكن عادلة، ومن هنا أصـبح النشـاط الإنتاجي ضـعيفا، بحيث تحول بعض الفنيين والمهندسين الى اداريين، والابتعاد عن عملية الإنتاج.

- ان عملية التصنيع وبناء مركب الحجار "لم تأخذ بعين الاعتبار واقع العلاقات الاجتماعية فعملية التصنيع كظاهرة اجتماعية تتشـابك فيها وتتداخل فيها مختلف مستويات البنية االجتماعية، التي هي تأثير متبادل، ال يمكن اختزال التصـنيع في عنصـر واحد وهو العنصـر التقني، المتمثل فيا المصـانع وآلالت، والذي وحده قادر على التغيير، ولكن في الاتجاه الإيجابي وبديناميكية للعلاقات الاجتماعية، فهي اســـتجابة وتقابل بأشكال صريحة أو ضمنية للمقاومة[10]
- لم يتم تكوين الطبقة العمالية بسلوكات المصنع وثقافة العمل الصناعي الحديث، ولم تأخذ عملية التصنيع بعين الاعتبار واقع العالقات الاجتماعية للعمال الجزائريين ومحيطهم.
- التوجه نحو تنمية صناعية بمصنع نموذجي وبتقنيات حديثة مستوردة ومحاولة لتغيير سلوكيات وثقافة العامل باء بالفشل، أغلب العمال ذو أصول فلاحية

الانعكاسات الاجتماعية والديمغرافية لمركب الحجار على منطقة عنابة:

لقد أثبتت الإحصـائيات والتعداد السـكاني في الجزائر أن النمو ديمغرافي الكبير كان في المدن الصـناعية مثل عنابة، قسـنطينة، وهران والعاصـمة، وتشـير بعض الإحصـائيات أن "سبب موجات النزوح الريفي نحو المدن الصـناعية هو التوجه العام للسياسة الاقتصادية التي أثرت على سوق العمل حيث نجد 69% من النازحين هم من الباحثين عن العمل ويمثل أغلبهم الفئة النشـيطة، وكانت نسـبة 81% منهم تتراوح أعمارهم بين 15 و 59 سـنة، وبلغ عدد الوافدين من الريف الى المدينة بين سـنتي 1977-1973 ما قدر ب 130 ألف نسـمة سـنويا، ومعدل الهجرة نحو المدن الصـــناعية في نفس الفترة 5.4% في المتوســط وتجاوزت في بعض المدن 13% " [11]على النزوح الريفي وانتقال اليد العاملة الفلاحية نحو الصناعة مع ما تحمله هذه الفئات من قيم وثقافة وعلاقات اجتماعية متميزة .

فإن دراسـة "علي الكنز" هي اضـافة للعمل الأكاديمي في سـوسـيولوجيا العمل، حيث سـاهمت في اعطاء فكرة عن المخلفات الاجتماعية والثقافية للتصـنيع والنزوح الريفي نحو الصـناعة، خاصـة نحو مركب الحجار وما خلفته هذه الهجرة على مدينة عنابة وعلى محيطها الاجتماعي، والتي تتمثل أهم مظاهرها في:

- الزيادة الكبيرة في الحركة الســـكانية وحجم الســـكان في فترة قصـــيرة، بزيادة قدرت ب 34% فكانت خصوصية المنطقة الانتقال من النمط الفلاحي الى الصناعة (النزوح الريفي من المناطق الداخلية)

- التمركز للأحياء الجديدة حول مصنع الحجار تفوق 1500 أسرة من عمال مهرة وموظفين من مستويات عليا ومتوسطة.
- الهجرة الداخلية كسمة أساسية لفترة التصنيع في عنابة باستقطاب حوالي 95000 نسمة من النازحين من المناطق الداخلية (النزوح الريفي) وشكلت المدن الداخلية القريبة منها خزانا لها مثال مدينة قالمة بنسبة 49.8% وتبسة وسكيكدة بنسبة 8.8% وقسنطينة بنسبة 6.4 % ،و كانت أغلبها 12من فئة الشباب الأقل من 29 سنة، بالإضافة الى ضعف مهارتها وتأهيلها.[12]

الصراعات التنظيمية وانعكاساتها على المحيط الصناعي:

توصل "علي الكنز" الى أن هناك جماعات خفية تنمي وتثير الصراع والنزاع وتبث الوشاية وسط العمال، الأمر الذي يؤدي الى الانقسام داخل الفئات العمالية وحدوث تشوه للوعي العمالي، وانحياز النقابة الى جهات محدودة ، وتخليها عن الأهداف الحقيقية والمهام المطلوبة منها، وكذلك مكونات البناء التنظيمي هي متناقضة كتعدد الأدوار وعدم الالتزام الوظيفي، وعدم تحديد الواجبات والدور وعدم قناعة العمال بأن المصنع هو مصنعهم واهدافه هي أهدافهم.[13]

وكانت مسألة الصراعات في الهرم التنظيمي تترجم داخل المصنع بسلوكيات متباينة، ومن تم تصبح بعض التساؤلات المتعلقة بكيفية احالة العمال على العمل، وأشكال النزاعات القائمة في التنظيم، مما ترتب عنه ودفع بالعمال الى تبني سلوكيات مقاومة متنوعة منها: ترك منصب العمل بعد التكوين، والغيابات المتكررة وعدم الانضباط...بل وعلى الرغم من التحسينات التي أدخلت على النظام التايلوري لم يوفق في التكيف مع النسيج الاجتماعي للمصنع. هنا نحن أمام فضائين من منطقين وعقليتين متباينتين، أحدهما (ي المصنع) يمثل الوقت المضبوط والمحسوب بمعنى كل نشاط هو منظم في ظل سلسلة من النشاطات... فالكل مرتكز على منطق عام مستوحى من عقلنة اقتصادية، في الوقت الذي ثانيهما (أي المحيط) له معنى مخالف، بل مناقض للمعنى الذي يعطيه الفضاء الأول للعناصر نفسها، وكبعض الأمثلة لتوضيح هذا التباين في الرؤى كالوقت الذي يخصص في المحيط لتلبية احتياجات الحياة اليومية (كمرافقة الأبناء الى المدرسة- العالج -التنقل- النظافة - الأمن ...) والعالقات الشخصية التي هي من ركائز الواقع الفعلي للحي، القرية، المدينة، كل هذا مرتكز بالنزاع القائم بين الجماعتين ذات منطقين مختلفين: المنطق البيروقراطي الذي يبحث عن الاستحواذ على السلطة حتى يهيمن ومنطق التقنوقراطي الذي أساسه العقلنة الاقتصادية.[14]

وهنا يعد الواقع الاجتماعي للمصـنع أحد أسـباب التراجع في الإنتاج وضـعف المردودية وانعدام الإبداع وفشـل التنمية الصناعية.

خلاصــة الدراسة:

خلصت الدراسة السوسيولوجية ل" علي الكنز" الى أن المؤسسة الصناعية في الجزائر قد واجهت صعوبات كبيرة في تحقيق أهدافها التنموية، حيث تناولت هذه الدراسـة واقع العلاقات الاجتماعية والظروف السـوسـيو مهنية للطبقة العمالية، وأسـباب التغيب والحراك المهني وثقافة العامل، وغيرها من المسـائل الجوهرية التي كانت سـببا في افشـال التصـنيع وسـياسـة التنمية . كما حاول "علي الكنز" في دراسـته الكشـف عن دور مركب الحجار باعتباره نموذجا للصـــناعة التحويلية في الجزائر واعتباره هدفا وحقل لنشـــر الثقافة الاقتصـــادية والعقلانية وقيم الحداثة للمجتمع بأكمله. وقد أكدت الدراسة أن مركب الحجار استطاع التخفيف من أزمة البطالة والفقر، كما فتح مجالات واسعا لاسـتثمار الخاص أثناء مراحل الإنجاز، لكنه فشل في العقلنة الصناعية، فتوفير فرص الشـغل لم يصـاحبه تحسـين للظروف الاجتماعية للعمال، التي خلفت بدورها عدة قضـايا سـلبية أخرى، منها: التوسـع العمراني غير المخطط، أزمة السكن، إهمال خدمة الأرض، الظواهر الاجتماعية كالبيوت القصديرية، الانحراف والجريمة في الأحياء.

ويقترح الباحـث "علي الكنز" مقاربـة جديـدة لإشـــكاليـة التنميـة في الجزائر إذ يرى أنـه من غير الممكن تحقيق اســتراتيجية التنمية دون الربط العضــوي بين الفاعلين الاجتماعيين، من عمال، وتقنيين ومهندســين، واطارات، وتحديد المهام المنوطة بهم تقنيا واجتماعيا، ومن ثمة تحقيق التضامن في المصير المشترك، كاستراتيجية تنموية للمجتمع الجزائري.

المراجع المعتمدة:

---

1 – علي الكنز : **السوسيولوجي القادم من عالم الفلسفة** جريدة النصر بتاريخ 2 نوفمبر ،2020 مقال لعنصر العيـاشـــي بعنوان: **علي الكنز رائـد الســـوســـيولوجيـا الجزائريـة** ، على موقع الإلكتروني 2025-03-08:com.annasronline.www://http على الساعة11:00

2 – المرجع نفسه

3 –المرجع نفسه

4 – المرجع نفسه

5 – محمد بشـــير: **علماء اجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر** –الرعيل الأول– دار كنوز للانتاج والنشـــر والتوزيع،ط1. الجزائر2018، ص ص27/28

6 – كما ورد في أطروحة دكتوراه ل" علي الكنز" بعنوان **مونوغرافيا التجربة الصـــناعية في الجزائر، مركب الحجار للحديد والصلب بعنابة.**

7 – حمد العيفة ومحمد فوزي كنازة : **ممارسات ما بعد الحداثة في اعادة إنتاج المقلد:** سوسيولوجيا المؤسسة الجزائرية في ظل الحراك الاجتماعي، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والإنســانية ، قســنطينة العدد35 لســنة 2018 ص. 886

8 – الطاهر غراز: الثقافة العمالية وعلاقتها بأساليب التنظيم بالمؤسسة الصناعية الجزائرية، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية المجلد،1 العدد 2 الجزائر سنة2013 صص191/192

9 –)محمد العيفة، ومحمد فوزي كنازة ، مرجع سبق ذكره، ص887. 9

10 – زروال نصـيرة: القيم الاجتماعية كمعيق للمشـروع التنموي الصـناعي الجزائري، مجلة دراسـات في التنمية والمجتمع، العدد3 الصـادر عن مخبر المجتمع لتنمية المحلية في الجزائر طبع لدار التل للطباعة والنشـر، جامعة الشـلف 2015 ، ص7

11 - Benachenhou abdelatif ;l'exode rural en Algerie, CREA Alger,1979 ;p.22

12 – عنصر العياشي: النخبة النقابية المحلية تكوينها وتمثيلاتها، ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الوطني حول " المجتمع الجزائري والممارســات 12 الســوســيولوجية، 11/12 نوفمبر 1995 معهد علم الاجتماع جامعة الجزائر، ص136/137. مأخوذ عن أطروحة علي الكنز 1983 ص42.

13 – زهية بن سـالمة: أسـباب نزاعات العمل في المؤسـسـة الصـناعية الجزائرية، مذكرة ماجيسـتير تخصـص تنمية وتسيير موارد بشرية علم اجتماع 13 قسنطينة 2006/2007 ص. 23

14 – أ.د. محمد بشير: مرجع سبق ذكره، ص ص26-27.

المحاضرة العاشرة: جمــال غريـــــد

1- نبذة تاريخية عن حياة جمال غريد وأهم مؤلفاته

2- الاهتمامات السوسيولوجية لجمال غريد

3- التحليل السوسيولوجي لدراسة جمال غريد حول العامل الصناعي والعامل الشائع

1- نبذة تاريخية عن حياة جمال غريد وأهم مؤلفاته

حياته:

ولد في جوان 1943 بطولقة ببســـكرة، من عائلة متدينة ومتعلمة فكان جده معلما بزاوية طولقة ، ووالده متخصـص في أمور القانون والقضـاء الإسـلامي، تعلم جمال في مدرسـة قرآنية ، وأثناء تعليمه كان يتقاسـم وقته بين الذهاب الى المدرسة القرآنية والمدرسة الفرنسية، اذ تميز منذ الأقسام الصغرى بالجدية، كاد أن ينقطع عن التعليم في بداية 1956 أثناء الثورة التحرير ونجح في مســـابقة الالتحاق بالمعاهد وبأكثر تدقيق بثانوية فرنكو – اسـلامية في النظام الداخلي بقسـنطينة، تحصـل على البكالوريا سـنة 1963 ، تخصـص في علم النفس ثم في علم الاجتماع ، شغل منصب أستاذ معيد في العاصـمة سنة 1968 وتعرف على العالمين " بيار بورديو" و"جون بيار بريون"، ثم اتجه الى جامعة وهران وتحصل على الدكتوراه سنة 1970 ثم على شهادة أطروحة دولة 1994 بعنوان : التصنيع، الطبقة العاملة وعلم الاجتماع. قام بالعديد من الدراسات البحثية الميدانية منها: الصناعة والمجتمع. كما تخصـــص في المجال الســـوســـيولوجي والبحث العلمي والأنثروبولوجيا في الجزائر، كان يحلل الواقع الاجتماعي للفرد الجزائري بفهم الذات الجزائرية ومن خلال النقد الاجتماعي لهذا الواقع، والتأكيد على أهمية البحث الميداني في المجال العلوم الاجتماعية، توفي غريد جمال سنة 2013 ببسكرة مخلفا عديد من المنشورات العلمية الهامة

مؤلفاته

قدم العديد من الأعمال البحثية الميدانية ، فقد ســـاهم بالدراســـة الأنثروبولوجيا حول العمل والعمال، من حيث تحديد هوية العامل الصـــناعي في الجزائر، فقد قدم دراســـة علمية منها **الصـــناعة والمجتمع ســـنة 1982** وبين خصـــائص العامل في المصـــنع الجزائري، وذلك في اطار انجاز أطروحة دكتوراه ســـنة 1994 حيث كانت دراســـته بعنوان: **التصـنيع، الطبقة العاملة وعلم الاجتماع، مثال الجزائر**، ودراسـة : **المؤسـسـة الصـناعية في الجزائر حدود المثاقفة 1990 والعامل الشـائع** (عناصـر الاقتراب من الوجه الجديد للعامل الصـناعي الجزائري) سـنة 1997 **جدلية التقليدي والحداثي** (ثنائية الثابت والمتحول في البنية الثقافية الجزائرية) وأيضـــا قدم العديد من المقالات العلمية والتي من بينها:

- المؤسسة الصناعية في الجزائر وصراع العقلانيات سنة 1990
- الجامعة بين الدولة والمجتمع 1998
- نظرة على الصحة في الجزائر 2002
- الاستثناء الجزائري 2007

- الجزائر بين ثنائية المجتمع وثنائية النخبة 2007
- الجزائر، الأنثروبولوجيا لنجدة التراث اللامادي والتنمية .2012
- الدخول الى السوسيولوجيا 2013
- المعرفة والمجتمع الجزائري 2013

2- **الاهتمامات السوسيولوجية لجمال غريد**

يعد "جمال غريد" أســـتاذا وباحثا ومفكرا متميزا في علم الاجتماع وفي الأنثروبولوجيا، فقد ساهم في تحقيق المعرفة وفهم واقعية المجتمع الجزائري وخصوصيته، وتبنى الحقيقة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع على الحقيقة العلمية بوصفها الحقيقة الواقعية، مستمدا ذلك من الواقع الجزائري ومن ثقافته وأصـوله، فكان له بعد أنثروبولوجي وسـيوسـيولوجي محكم، فهو من أسـس الأنثروبولوجيا الجزائرية. حيث يقول **"محمد بشـــير"** في كتابه عن **"جمال غريد" أن انجازاته أضـــحت تمارس سيادة علمية... وصف بأنه أحد أعمدة الوسيولوجيا في الجزائر**.

لقد تولدت لديه فكرة اقتراح معرفة حول المجتمع الجزائري باعتبارها إنتاجا تاريخيا، واقتراح شبكة تحليل لدراسـة المجتمع الجزائري في كليته أو إحدى مكوناته. ويعد أيضـا **"جمال غريد"** من المؤسـسـين ان لم نقل المؤسس الأساسي للتحقيقات الميدانية في الجزائر كتوجه ابستمولوجي، انه الأستاذ الذي لا يتكلم كثيرا يرفض الأضواء ولكنه يرى ويسمع كل شيء.

3- التحليل السوسيولوجي لدراسة جمال غريد:

دراسته حول العامل الصناعي والعامل الشائع

بدأت أبحاثه بدراســـة حول المصـــنع والمجتمع (مركب الحجار 1982) والتي تعد بحثا تأصـــيليا لعلم اجتماع التنظيم والعمل في الجزائر ، والتي كانت قد اعتمدت من طرف كل من علي الكنز وسـعيد الشـيخي في دراسـاتهم حول واقع الطبقة العمالية في مركب الحجار، فجمال غريد قد وضح الجانب الثقافي للعامل الجزائري، وما قدمه من تحليل عن المؤسسة الصناعية باعتبارها أهم مؤسسة عالجها من الجانب الثقافي والتي يمكن اسقاطها على مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى .

وتعد دراسة أثر التصنيع على مدينة سيدي بلعباس 1990 ودراسة العامل الشائع 1997 من بين الدراسات الأكثر أهمية بالنسبة لتحليل **الهوية الثقافية للعامل الجزائري في القطاع الصناعي العمومي** .

وتمثلت هذه الدراسة في تحليل ابستمولوجي لعناصر التفكير الاجتماعي للعامل الجزائري في المصنع، وهو طرح سوسيولوجي وأنثروبولوجي معا حول واقع الثقافة الجزائرية للمؤسسة الصناعية. لقد استخدم الثلاثي "**علي الكنز" و سعيد شيخي" و"جمال غريد"** مصطلح **الشائع** في دراستهم في مصنع الحجار لتوضيح الثنائية الثقافية (كلاسيكي وصناعي) وهو منطق اللاعمل، والذي كان سببا في فشل التنمية الصناعية في الجزائر، ودليل على عرقلة مشروع الدولة في تحقيق الحداثة والعقلانية.

ولقد استخدم الطرح الابستمولوجي من خلال تحليل لواقع الثقافة الجزائرية والتصور الطبقي للتاريخ، والثنائية الثقافية: ثنائي الحداثي/ التقليدي ، والثقافات الفرعية وصراع المعربين والمفرنسين وهي ازدواجية لغوية وثقافية وايديولوجية للمجتمع الجزائري ، مثال التصورات حول التنمية متناقضة بين المعربون الذين يحاولون احياء التراث العربي الاسلامي، والمفرنسين الذين يملكون قيم الديمقراطية والحداثة.

أما الثنائية أو الازدواجية بين العامل الصناعي والعامل الشائع كموضوع في تخصص علم اجتماع العمل في الجزائر، فيتجلى عن وصف الباحث للخصائص والميزات السلوكية للعامل في مواقع العمل، وفي المؤسسة الصناعية الجزائرية من خلال تحقيق ميداني لمصنع الحجار وورشاته، ومنها ورشة الفرن العالي. كما يصف العامل الصناعي الذي تواجد في المؤسسة الصناعية العمومية فترة بداية التصنيع 1980-1970 بوجود صنفين مختلفين هما : العامل الصناعي الكلاسيكي الغربي والشبيه في علاقاته مع المصنع بالعامل الذي عرفته المجتمعات التي شهدت التصنيع سابقا وتكون ضمن المؤسسة الصناعية الرأسمالية التي أكسبته ثقافة صناعية في ظرف وجيز تكون ملمح العامل الصناعي الكلاسيكي الجزائري خصوصا ضمن الظرف الكولونيالي، وقد كانت لعمليات الاحتكاك المباشر مع العمل الصناعي مع التكنولوجيا ومع أشكال التنظيم العمالي والنضالي في تلك الفترة دور في تكوين هذه الملامح الحديثة، والعامل الشائع الذي لا يمت بأي صلة لهذا الملمح.

العامل الشائع هو الدلالة على خصائص نموذج اجتماعي للعامل بالمصنع الجزائري، فمعنى " **الشائع**" هو ذلك السلوك أو الممارسة التي يظهر عليها الفرد أو يختص بها فاعلون أو فئة معينة عبر مواقف وميولات واهتمامات وأفكار خاصة، والتي على أساسها يتم أداء أدوارهم (أي العمال) في بيئة العمل وأيضا في البيئة الاجتماعية

و"**الشــائع**" مصــطلح لســلوك ســلبي مبالغ فيه التقاليد والأعراف واللامبالاة وهو ســلوك شــائع عند الأغلبية في المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية بفعل عدده والفئة العمرية التي ينتمي اليها، وبفعل التنشئة الاجتماعية التقليدية عموما.

من هو العامل الصناعي ؟ ومن هو العامل الشائع؟ حسب تحليل جمال غريد .

- **العامل الصناعي l ouvrier industriel**

أن المصـــنع عالم للعقلانية والفعالية ... ونظرية التحديث modernisation قد ألحت على أهمية المصـــنع كمؤسسة لإعادة التنشئة الاجتماعية في بلدان العالم الثالث

- **العامل الشائع: l ouvrier majoritaire**

هو وجه من الأوجه الناتجة عن الاحتكاك و"المواجهة" الدائر بين الشـــكل الذي اتخده التصـــنيع والتشـــكيلة الاجتماعية التي يتطور فيها، فهو العامل الذي نلاحظ حضـوره القوي في ورشـات المؤسـسـات الصـناعية الكثيرة والتي انجزت في إطار المخططات التنموية. أما نظيره "العامل المركزي" فقد أضحى شبه غائب

يقول جمال غريد فالعامل الشـــائع هو عادة عامل شـــاب من أصـــل ريفي وحتى فالحي، وهو مازال يحافظ على ارتباطات مع عالمه الأصـلي حيث يوجد – في أحيان كثيرة- مقر سـكناه ... فإن العامل الشـائع لا يمكن تعريفه يمكن تعريفه إلا بصـفة سـلبية : فهذا الفلاح الذي لم يتخلص بعد من فلاحته، هذا الأمي يجمع في شـخصـه كل السـلبيات: الجمود، اللاوعي ، اللامسـؤولية ، واللاتبصـر فهو حقيقة نموذج العامل المضـاد أو على الأقل نموذج ما قبل العامل".

ويضـيف " جمال غريد" أن التسـاؤل الذي يفرض نفسـه هو: **هل العامل الشـائع هو عامل انتقالي؟** هل هو مدعو في أمد قد يقصـــر أو قد يطول للاختفاء ليحل محله " **العامل النموذجي**". ويبقى الســـؤال مطروح لحين إثبات أدلة ... وهي تجد في تجربة التصـــنيع والتثقيف الأوربية ما يعزز جانبها ويقوي مركزها. فلم تندحر مقاومة الثقافات ما قبل الصناعية في أوروبا إلا بعد صمود دام نصف قرن من الزمن .

إن العمال في المصـــنع لهم حنين الى الماضـــي" العمل الفلاحي"، فثقافة المؤســـســـة ليس لها القدرة على المقاومة والقضـاء على ثقافة المجتمع المحلي. كما ان مفهوم العمل في المجتمع الجزائري يكمن في جوانبه المادية فقط، وهذا لا ينعكس سلبا على الأداء فقط، وإنما يكون عائقا للتطور والتنمية، كان تحليلا لواقع العمل في المصنع عند " **جمال**

غريد" حيث يقول: أن العمال يقدمون نصـــيبا من وقتهم في مقابل مبلغ مالي معين ، فلا يبدو أن تكون لديهم مشروع جماعي يستهدف التحول الاجتماعي انطلاقا من المصنع

واســتنتج " جمال غريد" من خلال دراســات ميدانية، انه قد اتضــح أن الشــائع هو نتاج الاحتواء البنية الثقافية والتقليدية بعيدا عن كل رموز التحديث والعصرنة والعقلنة ، ونتاج أساليب المقاومة العفوية لكل رموز التحديث أو التغيير للبنية التقليدية . فقد كتب محمد حربي: يظهر أنه من الأفضـــل عكس التوجه فبدال من دراســـة تحول المزارعين الى عمال صـناعيين يستحسـن البحث في تأثير المزارعين على فضـاءهم الجديد في العمل والسـكن، وفي الميدان الثقافي... ولكن التاريخ لم يعتمد على أعمال " جمال غريد" وتصوراته لخروج المجتمع من تلك الثنائية ".

وكانت الخصــائص الاجتماعية للعامل الجزائري الصــناعي، باندماجها مع الخصــائص المجتمع الفلاحي التقليدي، بحيث يقوم العامل وهو أمام آلات تكنولوجية حديثة بســلوكيات ومواقف لا تختلف عن ســلوك الفلاح والمجتمع الريفي، لذلك فالحياة الاجتماعية التي يعيشــها العامل خارج المؤســســة الصــناعية يقوم بحملها إلى مكان العمل، والأجراء لا يغادرون ذواتهم عند دخول المؤســسـة، ويؤكد في تحليله للعامل الشــائع أن العمل وتنظيم حياة العامل الشائع الاجتماعية حول قطبين متعارضين في كل شيء: مكان الإقامة ومكان العمل.

خلاصة الدراسة:

ان الباحث "جمال غريد" الذي يشـــهد له العديد من المفكرين الجزائريين والأجانب على منتوجه الفكري والعلمي، وهذا من خلال عقد لملتقى بجامعة ســـطيف تخليدا لأبحاثه، فكانت من بين أهم الشـــهادات والمداخلات : مداخلة الباحث "**محمد مداني" من مركز البحث USTO بوهران،** حول دور " جمال غريد" في انشاء فرع الأنثروبولوجيا، وملخص قوله أن "**جمال غريد"** يعتبر رجل مشاريع علمية ونضال، فتح آخر ورشة علمية، فيما أصــبح يســمى بحقل **"حدث المعرفة"** ملاحظا أن المجتمعات الحالية ما بعد الصــناعية، أضــحت تتصـف بهذه الظاهرة الجوهرية المدمجة والمختلفة في الوقت نفسـه، واوضـح أن حضـارة جديدة تتوطد تحت أعيننا، يكمن قوامها في الموارد اللامادية والتي لا تكتشف اليوم إلا افتراضاتها" . ومداخلة المفكر الفرنسي " **برنار تريمون**" الذي ينوه بإنجازات "**جمال غريد"** ومن خلال مداخلة، نيابة عنه قدمها "بن تامي رضـــا" من جامعة تلمســـان، قوله أن التحقيقات الميدانية التي قام بها "جمال غريد "ومثيلاتها كانت جدية، وتبين القطيعة بين الخطابات المعتادة والوقائع المعاشـــة، حيث يقول: يظهر لي أن هذا الدرس الكوني الذي أمدني به وبأبحاثه ولقاءاتي به هي نواة تفكيره." ويضـيف المتدخل **"العرباوي عمر"** أن مشـروع " جمال غريد" في انشـائه لفرع أنثربولوجيا الجزائر المعاصـرة 2007/2000كان جديرا بالوقوف على أصـــالته ومســـالكه المتعددة، وهذا المشـــروع الذي فتح لطلبة ما بعد

التدرج في إعادة قراءة الواقع الجزائري، وفهم طبيعة التحولات الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري على ضـــوء الإمكانيات التي تقدمها المقاربات الأنثروبولوجيا نظريا ومنهجيا (من خلال التحقيقات الميدانية .)

وعلى ضوء التصريحات السابقة، فإن أغلب المشتغلين بعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا في المجتمع الجزائري قد يجدون ضـــالتهم في أعمال هذا الباحث والمفكر الجزائري "جمال غريد "الذي قدم أعمال قيمة من خلال اهتماماته بقيم المجتمع الجزائري وخصـائصـه الثقافية، وكانت أبحاثه هامة وبكثير من الشـغف حول "المصـنع" و"العامل" والمجتمع" منذ بداية التسعينات من القرن الماضي وخلال مدة 40 سنة من العطاء العلمي والمعرفي.

المراجع المعتمدة:

1- محمد بشير: جمال غريد – السوسيولوجي والأنثروبولوجي صاحب الثنائية الثقافية- مخبر المؤسسة الصناعية والمجتمع في الجزائر كلية العلوم الإنسـانية والعلوم الاجتماعية جامعة تلمسـان، دار الكنوز للنشـر والتوزيع تلمسان 2016

2- جمال غريد: العامل الصـناعي - العامل الشـائع ، عناصـر االقتراب من الوجه الجديد للعامل الصـناعي الجزائري ، مجلة **انسانيات** العدد1 الصادرة عن مركز CRASC وهران ، خريف 1997 .

3- زاوي فكروني: جدلية التقليدي والحديثي – قراءة في تحليل" جمال غريد" لثنائية الثابت والمتحول في البنية الثقافية الجزائرية، مجلة مخبر التغير االجتماعي والعالقات العامة في الجزائر جامعة بســكرة العدد الثالث، جانفي .2017

4- Mohamed Harbi : Eléments de débat sur la classe ouvrière et le mouvement ouvrier en Algérie ; revue NAQD , 2001 (hors série)

المحاضرة الحادي عشر : سعيـــــد الشيــخـــــي

1- نبذة تاريخية عن حياة سعيد شيخي وأهم مؤلفاته

2- اهتمامات سعيد شيخي السوسيولوجية

3- التحليل السوسيولوجي لدراسة سعيد شيخي حول حركة التصنيع والمشروع التنموي في الجزائر ومفهومه لأزمة العم:

1- نبذة تاريخية عن حياة سعيد شيخي وأهم مؤلفاته

حياته:

من مواليد 1944 ببسـكرة تحصـل على شـهادة الدكتوراه في الآداب والعلوم الإنسـانية سـنة 1986 بباريس ، تقلد منصب أستاذ مساعد في جامعة الجزائر بين 1969 الى 1976 ثم استاذ مساعد (أ(1976 الى 1986 فأستاذ محاضر 1986 الى 1989 فأستاذ تعليم عالي سنة 1989 وشغل منصب استاذ محاضر بجامعة الجزائر الى حين وفاته سنة 1993.

مؤلفاته

من أهم ما ألفه سـعيد شـيخي في حقل السـوسـيولوجيا العديد من المقالات والكتب التي عالجت واقع الطبقة العمالية في الجزائر وخصائصها السوسيو ثقافية، ومنها:

- Classe ouvrière-politique et société
- Les larmes et le sang, politique et société en Algérie

والعديد من المقالات منها:

- La classe ouvrière Aujourd'hui en Algérie 1982
- Grèves et société en Algérie 1986 .

Travail en usine 1984

2- اهتمامات سعيد شيخي السوسيولوجي,

كانت محتويات الأعمال الأكاديمية التي طرحها سـعيد شـيخي تنصـب في تخصـص ومجال العمل والعامل الصـناعي والطبقة العمالية بشـكل واسـع، من حيث ظروفها ومحدداتها السـوسـيو – مهنية والاهتمام ايضا كان في مجال المشاركة في التسيير والتنظيم والديمقراطية الصناعية وعلاقات العمل والحداثة والأزمة الاجتماعية في الجزائر وواقع التصنيع ومشكلاته.

3- التحليل السوسيولوجي لدراسة سعيد شيخي:

دراسته حول حركة التصنيع والمشروع التنموي في الجزائر ومفهومه لأزمة العمل:

بعدما تناول كل الدراسات و التحاليل التي تحدث في عملية التصنيع في الجزائر، وبعد دراسته التي قام بها في الوسـط حول تسـيير العمل وتنظيم العمل خلص إلى عدة مفاهيم ناتجة عن أسـباب عدم نجاعة و عدم فعالية المؤسـسـات، قدم عدة تقارير مختلفة منها ماهو متعلق بالسـيولة، انضـباط العمل، ..الخ إلا أنه في النهاية اقترح مفهوماً أخر اختلف عن المفاهيم التقنية التي كانت مطروحة وأعطانا مفهوم يحمل في طياته اشـكاليات و كثير من عمليات التنظيم وهو أزمة العمل إذ يعود كل ذلك إلى أبجديات العمل الصـناعي و إلى ثقافة العمل الصـناعي، إذ يعود بنا إلى قيمة العمل بحد ذاته وطرح عدة تساؤلات:

مامعنى العمل..؟ هل هناك فرق بين العمل الزراعي و العمل الصـناعي ..؟ هل اسـتوعب العامل الجزائري ثقافة العمل الصناعي ..؟

تناولت هذه الدراسة الهامة التي عرضها سعيد شيخي في الثمانينات القرن الماضي كان عنوان الدراسة : **المسألة العمالية والعلاقات الاجتماعية في الجزائر** سـنة 1986 بمصـنع الحجار حيث تمحورت هذه الدراسـة حول إشـكالية وظاهرة العمل في الصـناعة الجزائرية، وخصـائص العمال وظاهرة غياب العمال عن العمل ونوع علاقات العمل في المصـنع الجزائري شملت دراسـته حقل بحث ميداني لعينة بلغت 100 عامل .ولقد طرح تسـاؤل رئيسـي لدراسته السابقة تمثل في: **هل غياب العمال عن العمل هو رفض لوضعية العمل أو رفض للمصنع والتصنيع؟**

والتساؤلات الفرعية لإشكالية دراسته كانت على النحو التالي:

1- هل غياب العمال عن العمل هو شـكل من أشـكال مقاومة أمام الظروف الاجتماعية التي يعيشها العمال؟

2- هل غياب العمال عن العمل هو سلوك من سلوكيات العمال المتمسكين بقيم ثقافية تترجم لديهم نوع من الثقافة العمالية؟

ويجيب الباحث على هذه التسـاؤلات من خلال نتائج بحثه، بالقول أنه إذا كان المنتجون يتغيبون عن العمل، فهذا راجع الى أن العمل في المصـنع غير منتج للشـخصـية أو لهوية العامل، ويضـع أسـبابها في النتائج التالية:

- غياب ظروف إعادة إنتاج قوى الإنتاج: حيث أن الظروف بقيت معارضـة حول العمل أو المصـنع، لكن حول حياتهم الشخصية اليومية وخاصة الاجتماعية (غياب السكن، الصحة، الرشوة).
- غياب الهوية في العمل: إن العمل التقني بصـــفة عامة والعمل المنتج بصـــفة خاصـــة لا يحتوي على أي رفاهية اجتماعية في الجزائر، حيث أن العامل الجزائري ليس لديه إحســـاس أو شـــعور بتواجده عن طريق العمل، كما أن طموح أو هدف أو مستقبل العامل لا يمكن تحقيقه من خلال العمل المنتج .
- وأيضـــا يعتبر شـــعور العمال البعيد عن العمل وعدم قدرتهم على التواجد داخل محيط العمل ، فيفقدهم الهوية في العمل (لا ابتكار ولا اختراع وإمكانيات غير معترف بها) حيث لا " يفسـر عدم انغماسـهم في العمل بافتقادهم للوعي المهني بل يفســـر ذلك برفضـــهم للظروف التي يتم بداخلها العمل وأن رفضـــهم للعمل لا يكمن في حد ذات العمل، وإذا هم غير مرتبطين بالمؤسـسـة كما يتطلب الحال فهم لا يعتبرون أنفسهم مسئولين أمام نظام غير نظامهم
- وبالتالي فالتصنيع ليس مجال للمشاركة العمالية في العمل أي أن المصنع لا يتيح لهم فرصة المشاركة الفعلية في الإنتاج والإبداع، ومنه لا يرفعون طاقة الإنتاج بسبب ذلك التهميش الممارس عليهم داخل المصنع .
- كما بينت نتائج دراسـه هذه أن العامل الجزائري لا يملك القدرة في رفع الإنتاجية ، ولا ينتمي الى مرجعية اقتصادية فخلفية هذه الوضعية تعود الى النظم القيمية والثقافية للجزائري الذي لم يعمل على انتاج وسائل فكرية جديدة تعمل على انتاج الثقافة الصـناعية مثل باقي الدول الصـناعية كاليابان (أي انتاج ما يعرف بثقافة العمل)
- وتوصـلت هذه الدراســة أيضـا الى أن العمال يعانون عدة مشـاكل، منها تخص محيط العمل والظروف المعيشـية ، فكانت الاحتجاجات والإضـرابات لعرقلة العمل وعدم الانضـباط في العمل وتراجع المنتوجية وكبح الانتاج ونقص الكفاءة والأداء...تعود كل هذه المشـــاكل لنوع العالقات العائلية والجهوية غير العقلانية التي تسود فكر العامل بصفة عامة (سبق أن قدم علي كنز نفس الاستنتاجات في دراسته لمصنع الحجار بعنابة)
- المميزات السـوسـيولوجية للعامل الصـناعي والمتمثلة في الثقافة الريفية كون الارتباط بالفلاحة لكل العمال ولا يمكن لهؤلاء التنصل من الذات الاجتماعية والثقافات الفرعية عند دخوله المصنع، فهم لا يستطيعون مقاومة القيم الثقافية التي يحملونها الى المصنع فالوسط الريفي ثابت لدى العمال، يقول **سعيد شيخي** هنا : "**العامل الجزئري هو انسان هجين ذو جسم عامل و أرس فلاح** ".فالنسبة تصل الى 27 % من

العمال يقطنون المناطق الريفية للمصــنع، ونحو 67 % من المبحوثين يفضــلون الحياة التقليدية والفلاحية ويرونها أفضل من الصناعة وظروف المصنع (مقاومة التغير الاجتماعي والتحديث الصناعي)

حيث يمكن القول والجزم أن العامل الجزائري لا يفقه العمل الصناعي وإنما أقحم نفسه في العمل الصناعي وهاته الأزمة ليســت خاصــة بالقطاع الصــناعي وإنما هي أزمة في المجتمع وأعطى عدة ملاحظات منها أن العامل الجزائري دو دهنية ريفية يشــتغل بالقطاع الزراعي (العامل ســيد نفســه) فانتقل إلى مجال آخر و الذي يفرض شــروطاً وقيوداً حيث أصــبح العامل يشــعر بالاغتراب أنه لاينتمي إلى هذه البيئة و إلى هذا المناخ وعليه فهو لا يحظى بكامل قوته و كامل مالدية في هذا العمل .

- النتائج الميدانية أكدت أيضا أن العامل الجزائري لا يمتاز بالمشاركة السياسية فأغلب المبحوثين 90 % لا يشــاركون في أي جمعية وهي تعيش في معزل عن أي نشــاط ســياســي بســبب غياب الوعي والتكوين السياسي حسب قول أغلبهم "**خاطيني بوليتيك**"، واحتفاظهم بالمنطق الذاتية والجهوية و المحاباة والقرابة في محيط العمل وخارجه
- ويخلص القول أن اســباب ظاهرة التغيب عن العمل تعود الى جملة من النقاط وهي: غياب ظروف اعادة انتاج قوى الانتاج ، غياب الهوية في العمل ، فالعمل لا يشــكل للعامل أي رفاهية اجتماعية والعامل لا يشعر بوجوده وقيمته في العمل ، و أيضا الى التهميش الاجتماعي للعامل نتيجة عدم اتاحة الفرصة أمامه للإبداع وللابتكار أو للمشاركة في التسيير ولتبادل المعلومات...

فيما تعلق بالانضــباط العمل يشــير الباحث بعد قيامه بعدة مقابلات (بمركب رويبة) لاحظ واســتنتج عدة أشياء منها:

- على العامل أن يحترم أوقات العمل (احترام الرؤســاء) ولكن لم يطلب منه أن يعمل و أن ينتج بصــفة مستمرة.
- العقلانية، إذ يشير إلى مبدأ العقلانية عندما يقارن مفهوم العقلانية مع المجتمعات الغربية، إذ يقر أن هناك ربح للوقت واللاوجود للامبالاة، وهناك ترشــيد لوســائل الانتاج، وكل مراحل الانتاج مضــبوطة إلا أنه لم يلاحظ هاته الأشياء في الورشات الجزائرية و المؤسسات الجزائرية (مركب رويبة مكان اجراء الدراسة).
- العملية الانتاجية لاتسير بصفة مستمرة (ضعف التموين، عدم التحكم في التكنولوجيا و كل هذا يؤثر سلباً على العملية الانتاجية. وهو ماينعكس على ذهية العامل لان لها علاقة بمشكل الأجر.

- المصـانع في الجزائر دفع الأجور لايتم وفق المعايير الموجودة و العقلانية في الدول الغربية (تدفع الأجور في الدول الغربية حســـب كمية الانتاج، أي كلما ارتفع الانتاج زاد الاجر والعكس) لكن في الجزائر فبالرغم من التذبذب في العملية الانتاجية إلا أن الأجر يدفع ، فنجد عدم التوازن بين العملية الانتاجية و نظام دفع الأجور.
- كل هذه القضـــايا تدفع الباحث إلى القول أن قيمة العمل في مجتمعاتنا تختلف اختلافاً كبيراً عن تلك القيم الموجودة في البلدان الغربية و بالتالي استنتج الباحث أن العمال أصبحو يفسـرون قيمة العمل ليس بالنسبة للعملية الانتاجية و إنما بالنسبة للأجر .
- ومنه الفكرة التي أصبحت موجودة لدى العامل في المجتمع ، يفكرون في العمل ليس بالنسبة للمهام الذي يقوم به و إنما للمدخول الذي يستفيذ منه ، وحسب تفسير الباحث يمكن القول أن الأفراد لهم تصرفات سلبية، حيث لايحبون العمل بل يأتون من أجل الأجر وفقط
- يقول سـعيد شـيخي: "المصـنع لم يشـكل مجالاً أو فضـاء للتنشـئة الاجتماعية كما هو في المجتمع الغربي، فكل تنشـئة اجتماعية تمل على قيم ومعايير معينة ، نفس الشـيء في المصـنع، وكما أشـرنا أن المصـنع وحدت فيه سـلوكيات وقيم ومعايير تلقن للعامل لا علاقة لها بالعقلانية و الموجودة في النموذج الغربي إذ لاوجود للتنشئة الاجتماعية في المصنع الجزائري".
- تكلم سـعيد شـيخي على فكرة الهرمية (احترام الرؤسـاء) لاحظ أن في الجزائر من مهندسـين و التقنيين و المشرفين يمارسون فكرة الهرمية في المنصب الذي وكل إليهم
- الفرق الذي لاحظه أن الفرد الذي يرقى إلى منصب عمل عالي لايقوم بعمله لانه يرى أن الترقية لها علاقة بزيادة الأجر فقط وليس زيادة في عبئ العمل أو المســؤولية ، إذ يســتفيدون من الترقية و في الحقيقة لا يقومون بعمليات الموكلة إليهم ، ومنه توصـــل إلى فكرة أن الترقية الرؤســـاء لا تتطابق مع معايير الفئة الموجودة في المجتمع الغربي الصناعي .
- أيضـا توصـل أن المكاتب الادارية تضـم عدد كبير من التقنيين و المهندسـين وهو ما يدل أن الفئات السـوسـيو مهنية غادرت الورشـات وانتقلت إلى المكاتب ضـنناً منهم أكثر احتراماً وتقديراً ومنه لاحظ الاكتظاظ الذي وجد في العملية الانتاجية و الورشـــات يخص العمال المنفذين و ليس التقنيين ، هؤلاء الآخرين (التقنيين و الاطارات) لم يقوموا بالوظيفة المسندة إليهم .

- الهرمية في الجزائر لم تخدم العقلانية ولا الفعالية الانتاجية و إنما خدمت المصـــالح الخاصـــة للإطارات من خلال الحصول على مكانة اجتماعية جيدة وأجر جيد وترقية ومرتبة مهنية.

خلاصة الدراسة:

ان الدراســة الميدانية الهامة في نتائجها والتي قدمها "**ســعيد شــيخي**" تعد جزء من الأعمال الأكاديمية الهادفة في حقل علم اجتماع العمل ودراسة من الدراسات السوسيولوجية حول العمل في الجزائر، والتي كشفت عن عدة مســـائل تخص محيط العامل وظروف العمال، والخلفية الاجتماعية للطبقة العمالية الجزائرية، والتي تجعل هذه الأخيرة لا تملك وســائل فكرية جديدة تعمل على الابداع والإنتاج، مع صــعوبة العمل والتهميش العمالي فأنتج سلوكيات داخل المصنع غير مطابقة للتنظيم الرسمي وللنموذج التايلوري في مسألة العقلانية

فعالم العمال في المصـنع الجزائري يعاني أزمة هوية في العمل حسـب نتائج بحث " **سـعيد شـيخي**"، حيث سـاد منطق اللاعقلانية في الإنتاج بســـبب التغيب الكبير في صـــفوف العمال وكبحهم للإنتاج واللامبالاة وغيرها... والكثير من التصـرفات التي كانت سـببا في تعطيل وتيرة الإنتاج، والتي وصـفها "**سـعيد شـيخي**" أيضـا بمصـطلح الشعبوية ،كون الجميع يعمل أو لا يعمل فهو يتقاضى أجرا، الارتباطه الفيزيقي بالمؤسسة وبمواقع العمل، حتى ولو لم يحققوا انتاجا فعليا، كانت تلك سمة الاشـتراكية والمسـاواتية في العمل والدخل والخدمات والأمن التي تضـمنتها مواثيق النظام الاشتراكي في تلك المرحلة من التنمية الصناعية.

المراجع المعتمدة:

1- محمد بشـــير: علماء اجتماع التنظيمات والعمل في الجزائر- الرعيل الأول - دار كنوز لانتاج والنشـــر والتوزيع، الجزائر ط. 1، 2018.

2- محمد العيفة ومحمد فوزي كنازة: ممارسات ما بعد الحداثة في اعادة انتاج المقلد ، سوسيولوجيا المؤسسة الجزائرية في ظل الحراك الاجتماعي، مجلة الباحث في العلوم الاجتماعية والإنسـانية، قسـنطينة العدد 35، سنة 2

3- - chikhi s. les ouvriers face au travail au CVI cahiers du CREAD N9 ;1987

المحاضرة الثاني عشرة:

- دراسة بوزيان صمود
- دراسة عبد المجيد بوزيدي

- دراسة بوزيان صمود :

اهتم بنقص الفعالية و النجاعة في المؤســـســـات العمومية وله كتاب بعنوان : " مشـــكل اللاتوازن الجهوي الناتج عن الصنيع في الجزائر" صدر هذا المؤلف بديوان المطبوعات بوهران سنة 1986.

تناولت هذه الدراسة قضية مشكل الأقطاب الصناعية، إذ انتقل الباحث بذلك من نقطة أساسية هناك أمكان محددة تمركزت بها المصانع على حساب مصانع اخرى (شرق ، الشمال ، الغرب) كلها أقطاب صناعية موجودة على السواحل .

أصحاب الخطاب الرسمي كانوا يؤكدون على ضرورة تطوير كل المجتمع و ليس منطقة على حساب الأخرى، ولابد أن تستفيد كل المناطق من التنمية و المناطق التي تطورت يجب أن تستفيد منها المناطق الأخرى.

ولكن حين قراءة خريطة التصنيع الجزائرية، نجد أن التصنيع لم يكن معمم في كل المناطق الوطن وعليه هناك خلل في التوازن .

على حسب هذا الباحث : " إن المناطق الصناعية متمركزة في السواحل، أما المناطق الداخلية ليس بها مصانع، ومنه يرى أن الشـــمال أكثر تطوراً من المناطق الداخلية، وفيما تعلق بأن المناطق المتطورة تُطور المناطق الأخرى فإن هذا لم يحدث بتاتاً ، فعند الدراسة الوضعية نكتشف العكس إذ لم تساهم تلك المناطق في تطوير المناطق الداخلية" .

نستنتج من هذا أن الأقطاب الصناعية خلقت اللاتوازن الصناعي، فهاته الطريقة أدت إلى تهجير عشرات العمال إلى المناطق الساحلية بهدف البحث عن مناصب عمل، إذ لم يتم توطين السكان وإنما تهجيرهمإلى مناطق التصنيع.

يمكن أن نلاحظ ان الباحث " بوزيان صمود" عالج مشكل اللاتوازن التصنيع في الجزائر، وقد عالج الفكرة هاته من خلال فكرتين اثنتين أساسيتين هما :

- الفكرة الأولى : تاثير الصناعة على الاقتصاد و المحيط .
- الفكرة الثانية : كيفية تشكيل جماعات العمل .

لتحليل الفكرتين انطلق الباحث من تناول كل النصوص التشريعية و التي خصت التصنيع، إذ أنه انطلق من الاطار الرسمي للقطاع الصـــناعي أين كان الخطاب الرسمي، فهو أكد على ضـــرورة التوازن بين مختلف المناطق بدون أخذ أولوية منطقة على حساب الأخرى أي تطوير كل المناطق على نفس المستوى.

فمن خلال دراساته و ملاحظاته توصل إلى أن معظم المؤسسات الصناعية موجودة في السواحل، هذا التواجد له مبرراته منها تسهيلات التبادل التجاري ومنه مبدأ التوازن الجهوي لم يتحقق و إنما فرض مبدأ النزوح الريفي.

أما الفكرة الثانية : هي نفس الفكرة التي توصـل إليها سـعيد شـيخي و هي الكيفية في تشـكيل جماعات العمل، ففي الفترة الاســتعمارية لم تكن لدينا الطبقة العمالية و إنما بدأت تتشــكل بعد الاســتقلال، وبعد ذلك أراد أن يعرف خصائص الطبقة العمالية و ظروف تشكلها و هل تستمر بنفس مميزات المجتمع الغربي .

بعد بحث ميداني خلص الباحث إلى استخلاص مايلي :

1- الاكتظاظ الموجود داخل الادارات مقارنة بعدد العمال في الوظيفة الانتاجية (أول ميزة تختلف عن المؤسسات الصناعية في المجتمعات الغربية).

2- الورشات بها اكتظاظ من العمال المنفذين ليس لهم دراية التحكم في الألآت

3- وجود حراك مهني مستمر في المؤسسات العمومية.

ومنه تساؤل الباحث عن أسباب هذه الظاهرة و انطلق من خصوصيات اليد العاملة ، ومن تم توصل إلى أن فئة العمال ذو التأهيل العالي هي الأكثر حركية، ثم تأتي في المرتبة الثانية فئة التقنيين ثم تأتي الفئات الأخرى .

لقد قامت الدولة بانشــاء عدة مصــانع، حيث ازداد عددها و هو ما اســتدعى إلى توظيف مكثف، حيث وظفت وقتها يد عاملة بعدد هائل، ولكن مع مرور الوقت و الزمن (من 05 ســنوات إلى 06 ســنوات تقريبا) ظهرت بعض الفئات التي لها نوع من التأهيل يتجاوز المستوى العادي الذي كان سائد في سوق العمل، وهذا بفضل التكوين الذي تلقوه، أضف إلى ذلك أنهم أصبحوا يتحكمون في العمل نسبياً

من خلال هذه الأوضــاع قامت بعض المؤســســات قديمة أو جديدة بجلب اليد العاملة عن طريق امتيازات مثل : الأجر، الســكن ، ...الخ. مما أدى إلى التنافس المهني بين الاطارات و التقنيين مما أدى إلى حراك مهني، وبالمقارنة مع المجتمع الغربي نجد أن الظاهرة متواجدة و لكن ليس بنفس الحدة، حيث استطاع مسيريها حلها عكس الجزائرو

التي لم يستطع مسيري القطاع حلها ومع الزمن أصبح هذا الحراك يتجاوز هاذين الفئتين (الاطارات ، التقنيين) إلى أن وصل فئات مهنية أخرى .

وكنتيجة لهاته الدراسة توصل إلى استنتاج هو : عدم وجود تجميد للقوى العاملة في المؤسسة الصناعية، حيث لاحظ ان القطاع الصناعي في البلدان الغربية نجح بهذا التنظيم المرتكز على التجنيد و الانظباط ومنه نستنتج أنه لا يوجد تجنيد لليد العاملة في المؤسسات الصناعية ومنه لا توجد طبقة عمالية بالمفهوم الغربي و إنما توجد جماعات عمل.

دراسة عبد المجيد بوزيدي: باحث في الاقتصاد قدم تفسيره في مجلة مركز البحث في التخطيط والاقتصاد، عنوان المداخلة "المؤسسة العمومية في الجزائر"، العدد الاول سنة 1985م.

التفسير الذي قدمه نلاحظ أنه ينتمي إلى التفسير السوسيولوجي على الرغم أنه اقتصادي لأنه يتحدث عن موضوع سلطة القرار في المؤسسة الاقتصادية، أي نوعية المؤسسة العامة من الناحية التسييرية.

السؤال الذي طرحه: هل المؤسسة مقيدة تماما أو مقيدة نسبيا بالمؤسسات التابعة لها؟

يشير الباحث على أنه: يجب التعرف على مختلف مراحل سلطة القرار ثم تأيده.

تتلخص سلطة القرار في المجال الاقتصادي عبر أربعة مراحل وهي:

المرحلة الأولى: نجده عند مستوى الحكومة تحديد الأهداف العامة للسياسة الاقتصادية –تقترح المشاريع على مستوى الحكومة– القرار مفيد على مستوى الحكومة.

المرحلة الثانية: جهاز التخطيط أو الوزارة المالية بعبارة أخرى أي له دور كبير في جهاز اتخاذ القرار، يهتم بدراسة مختلف المشاريع الموجودة تمويل الخزينة، فالمؤسسة ليست حرة في اختيار مشاريعها أو مبالغ مالية (ليس لها سلفة مالية).

المرحلة الثالثة: الوصاية، هناك وزارات مختلفة كل مؤسسة تابعة لي واحدة من هاته الوزارات، للوزارة عدة مشاريع فلا يمكن للوزارة أن تطرح مخطط خارج المخطط المركزي.

المرحلة الرابعة: على مستوى المؤسسة العمومية.

يعتقد الباحث أن الوضعية التي آلت إليها المؤسسة العامة لا تفسر بأسباب اقتصادية وتقنية بالدرجة الأولى وإنما تفسر بأسباب سياسية وبالأخص استناد إلى مشكل السلفة.

نرى من خلال هذا أن تفسير الباحث أقرب من الواقع من التفسيرات المذكورة آنفا، فيقول الباحث: «إن الدولة كان الغرض من إنشاء المؤسسات العامة هو تركيز السلفة الاقتصادية أكثر من الاهتمام بالفعالية الاقتصادية، فأرادت الدولة من وراء هذا وضع المصانع الضخمة أن تضع حدا للتصرفات التي يمكن أن تحدث بالمؤسسات العامة إلا أن نقص وقلة التجربة والخبرة جعل الدولة لا تتحكم في السلفة الاقتصادية ولا في الفاعلية الاقتصادية».

بعد أن تحدثنا في هاته المرحلة عن تجارب المؤسسات العمومية وأظهرت عدم التسيير رأت الدولة ضرورة أن تستحدث عن المؤسسات المحلية.

المحاضرةالثالث عشرة: عبد المالك صياد

1- المولد والنشأة

2- الغربة والهجرة عند صياد

3- سوسيولوجيا ظاهرة الهجرة والمهاجرين

1- المولد والنشأة:

عبد المالك صـــياد)من مواليد 24 نوفمبر 1933 في بني جليل، الجزائر - توفي في 13 مارس 1998 في باريس، فرنســا)، كان عالم اجتماع، في البداية مســاعد بيير بورديو، ثم مدير أبحاث في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي الفرنسية ومدرسة الدراسات المتقدمة في العلوم الاجتماعية. كان خبيرًا في الجالية الشمال أفريقية في فرنسا، وكان محوريًا في إدخال دراسة قضايا الهجرة في العلوم الاجتماعية الفرنسية.

ولد عبد المالك الصـــياد عام 1933 بأغبالة، في بلدة بني جليل في القبائل، وهي منطقة بربرية في شمال الجزائر. الطفل الثالث والوحيد لأسـرة مكونة من خمسـة أطفال، بدأ في المدرسـة الابتدائية في قريته في السـابعة. ثم ذهب للدراسة في ثانوية بجاية، قبل أن يتدرب ليصبح مدرسًا في مدرسة ابتدائية في الجزائر .ثم تم تعيينه مدرسا في مدرسة في قصبة الجزائر .تابع دراسته في جامعة الجزائر بالتوازي حيث التقى بيير بورديو[2].

انتقل صـياد إلى فرنسـا عام 1963، بعد اسـتقلال الجزائر عام 1962. بدأ العمل بعقود قصـيرة الأجل في مركز علم الاجتماع الأوروبي في مدرســة الدراســات المتقدمة في العلوم الاجتماعية. في عام 1977، تم تعيينه في المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي(CNRS) ، كمدير أبحاث في علم الاجتماع.

توفي صياد في 13 مارس 1998.

جدد صـياد منهج علم الاجتماع الفرنسـي حول الهجرة الذي كان ينظر إليه من منظور مزدوج. من أجل دراسـة الهجرة، قال إنها كانت «كليًا حقيقة اجتماعية«، مسـتخدمًا تعبير مارسـيل موس للتأكيد على أن المهاجر كان أيضًـا مهاجرًا. وضـع المهاجر المهاجر في قلب التحليل، وجادل ضـد التحليلات التي اقتصـرت على مقارنة «التكاليف» الاقتصادية و «الفوائد» للهجرة.

قاده ذلك إلى إيلاء اهتمام خاص للتاريخ، من خلال النظر في تأثير الاستعمار في الجزائر وحرب الاستقلال، كما يتضـح من عمله مع بيير بورديو" اقتلاع. أزمة الزراعة التقليدية في الجزائر (الاقتلاع: أزمة الزراعة التقليدية في الجزائر[5].

في فرنسـا، فحص صـياد الوضـع الصـعب للمهاجرين الذين يصـلون إلى بلد جديد، منسـيين في كل من أصـلهم والبلدان المضـيفة لهم، وأجبروا على الصـمت. نُشـرت أهم المقالات التي كتبها حول هذا الموضـوع بعد وفاته في كتـاب بعنوان `` الغيـاب المزدوج (الغيـاب المزدوج(، *بمقـدمة بقلم بيير بورديو. هـاجر معـاناة المهـاجر، العلوم*

الاجتماعية ترجم الكتاب ديفيد ماســي على أنه «معاناة المهاجر». يوضــح الكتاب كيف أن عملية الهجرة هي تجربة شخصية وروحية للمعاناة، [6]*والتي تؤثر على الجوانب الجماعية للهجرة.*

كان متزوجًا من ريبيكا صياد، التي تبرعت بأرشيفه لـ المدينة الوطنية لتاريخ الهجرة (باريس) في عام 2006. سميت مكتبة هذا المتحف باسمه.

نظمت جمعية أصـدقاء عبد المالك صياد أحداثًا حول فكره، إيف جاميت، كريستيان دي مونتلبيير، [3]بمساعدة جيرار باريس كلافيل وتيري سارفيس معرض في باريس، ستراسبورغ، مرسيليا، سان شاموند، مونبلييه، نويلي سور مارن، بلان ميسنيل، نانتير، أنجيه، أرجيليس-سور-مير... وآخرون قسنطينة، وهران [4].المؤتمرات وورش العمل.

تُعد الهجرة من المواضـيع التي تجري دراسـتها عن طريق مقاربات عابرة للتخصـصـات، فتحللها العلوم السـياسـية والاقتصـــادية والدراســـات الثقافية وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، غير أن لكل علم زوايا ومنظورات ومنطلقات وأسئلة ومفاهيم واستخلاصات متباينة.

تكمن القوة التفســـيرية لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا في أنه يحاول تقديم الهجرة والمهاجرين من ناحية التطور التاريخي للمجتمعات المهاجرة ومجتمعاتهم الأصـلية والمجتمعات المسـتقبلة، وهذا ما يسـمى ''عملية الهجرة'' ذاتها، كما أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية بخاصـــة أعطت للفاعلين أنفســـهم مركزية في التحليل عبر اتخاذها المقابلات و''السرديات'' و''السير الذاتية'' وغيرها من الأساليب الكيفية أدوات للمشاهدة.[1]

يُعد عبد المالك صياد من الآباء الأوائل في عهد دراسات الهجرة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، كما أنه لم تبرز سوسيولوجيا الهجرة في التقليد الفرنسي، إلا مع كتاباته وأبحاثه حول ''هجرة الجزائريين إلى فرنسا.''

نحاول في هذا المقال تناول ما تركه السـوسـيولوجي الجزائري عبد المالك صـياد (1933-1998) لسـوسـيولوجيا الهجرة والمهاجرين ومجتمعاتهم من خلال بحث أسـئلته المركزية التي حاول الإجابة عليها، وسـياق تناوله، والنموذج الذي خلص إليه، إضـافة إلى التطرق لاسـتنتاجاته فيما يتعلق بمسـألتي الاندماج الاجتماعي وهوية المهاجر، كما نختتم المقال بمداخلة للباحث يســـتعرض من خلالها بعض العناصـــر المهمة للتحليل حال فتح باب التناول السوسيولوجي لمجتمعات الهجرة .

2- الغربة والهجرة عند صياد

لقد أنجز عبد المالك صـياد دراسـات ميدانية إثنوغرافية طيلة ثلاثين عامًا لدراسـة الهجرة الجزائرية نحو فرنسـا، وكان التعمق في مقابلاته ومشـــاهداته الميدانية، عاملًا منهجيًا حاسمًا يجعل الباحثين الآخرين يحتفون به، كما أنه أثبت كيف أن التعمق في التحليل يمكن أن يكون بمنزلة نموذج كوني، يستخدمه الأوروبي والشمال أفريقي والتركي، لفهم وتحليل هجرات أخرى متباينة، مع الحفاظ على خصوصيتها التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية .[2]

انطلاقًا من العمل الذي أنجزه عبد المالك صـياد تحت عنوان: ''الأعمار الثلاثة للهجرة الجزائرية إلى فرنسـا''، فإننا يمكننا أن نلحظ أن السـؤال الرئيس الذي حاول الإجابة عليه يتلخص في الآتي: ''كيف يمكن أن تُفهم الهجرات الجزائرية نحو فرنســـا في ســـياقها التاريخي، وفي علاقة ترابطية ثنائية بين الهجرة والغربة من ناحية، وبين المهاجرين وبلدهم الأصلي وبلد الاستقبال من ناحية أخرى؟.[3]''

أما بالنسـبة لسـياق الدراسـات، فقد تناول صـياد واقع الهجرة الجزائرية نحو فرنسـا متأثرًا بالسـياق الاسـتعماري، والدراســات ما بعد الكولونيالية، إضــافة إلى التحولات القروية والزراعية والحضــرية التي شــهدتها الجزائر في ذلك الوقت، وبالتحديد بعد العام 1962، هذا ما جعله ينســـب العديد من التحولات داخل المجتمع الجزائري للعامل الخارجي بأبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية كافة .

ويخلص صـياد من خلال دراسـاته وأبحاثه الميدانية المعتمدة إلى مقابلات قد أجراها مع أجيال مختلفة من الجزائريين الذين ذهبوا وعانوا في فرنســا، إلى أنه، أولًا، لفهم الهجرات وتحولاتها، يجب فهم المجتمع الأصــلي في جميع مراحله الاجتماعية والثقافية والاقتصــادية، وهذا لربط تلك التحولات التي تحدث في المجتمع الأصــلي بأنماط الهجرات إلى المجتمعات المضيفة (المستقبلة)، فكل تحول داخل المجتمع الأصلي يقابله نمط هجراتي تجاه المجتمع المضيف.

ثانيًا، على عكس ما فعلت الدراسات السابقة في خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن الماضي، من تركيز كثيف على المجتمع المستقبل على حساب المجتمع الأصـلي، فإن صـياد يجادل بأنه لا بد من فهم رصـين ومُعمق للعلاقة بين المجتمع الأصـلي والمجتمع المسـتقبل، ودراسـتنا للمجتمعات المسـتقبلة فقط تعني أننا نبحث ظاهرة الغربة، فيما نغفل تحليل ظاهرة الهجرة، وبدمج التحليلات الأنثروبولوجية للســـرديات والتمثلات والعلاقات التفاعلية بين المهاجرين في المجتمعات المستقبلة ومجتمعاتهم الأصـلية، فإننا ندرس جوانب الهجرة كاملة متمثلة في ظاهرتين ليستا منفصــلتين وهما الهجرة والغربة بأنماطهما كافة. وحســب صــياد، هذا يعني أننا نهتم بدراســة الفرد في كليته (كلية الظاهرة وكلية التبادل التي تكلم عنها مارسيل موس تبدو خفية هنا)، بصفتيه المهاجر والمغترب .[4]

ثلاثة أجيال من المهاجرين

أما بالنسبة للنموذج النظري الذي خلص إليه صياد، فإنه يرى أن الهجرة الجزائرية إلى فرنسا قد تطورت عبر ثلاث مراحل، في المرحلة الأولى والتي تمتد من 1871 حتى الحرب العالمية الثانية، كانت هناك هجرات ''لمهمة''، وهي الهجرات التي كان يعمل فيها الأفراد من أجل جماعاتهم داخل المجتمعات الأصـــلية، وهنا لا ينتقل المهاجر بإرادته، وإنما بتكليف من الجماعة، والهدف من تلك الهجرات إعادة إنتاج الجماعة وإدامتها.

في المرحلة الثانية، والتي تستمر بين الأعوام 1945 و1962، تقوم هجرات الأفراد على فردانية يسعى من خلالها الأفراد إلى إيجاد فرص عمل لم تتوفر له في مجتمعه الأصلي، وعليه فهو يذهب نحو تحقيق ذاته والعمل لأجل نفسه وليس لأجل الجماعة، من خلال تجربة الهجرة وتجربة العمل، وهذا يعني أن المهاجر يوجهه الهابيتوس الاقتصـــادي بتعبير بورديو، كما أن علاقة الهيمنة التي كانت تفرضها الجماعات في المجتمع الأصلي لم تعد موجودة بالدرجة التي كانت عليها في السابق.

في المرحلة الثالثة، والتي تستمر من بعد الاستقلال (1962)، ويسميها صياد ''مستعمرة جزائرية في فرنسا''، وهنا يربط صياد بين ''هجرة العمل'' و''هجرة الإسكان''، بحكم أن تلك الفترة تجمع بين العمل الكثيف الذي يمارسه المغتربون الجزائريون في فرنسا وفرص السماح لهم بضم أسرهم، وفي هذه المرحلة تنشأ شبكات هجراتية تتمثل في المؤســســات والجمعيات والمنتديات الثقافية الجزائرية في فرنســا والتي تعد الوسـيط والرابط بين بلد الهجرة (المجتمع الأصلي) وبلد الغربة (المجتمع المستقبل.[5]

بالنســـبة لعبد المالك صـــياد، عملية الاندماج الاجتماعي، أولًا، لا يمكن التحكم فيها أو توجيهها عن طريق سـياسـات اجتماعية هجراتية بسـيطة، وهذا يعود بالأسـاس إلى كونها عملية اجتماعية غير مرئية، مجهولة، تحدث على فترات متباعدة، باطنة الأبعاد. ثانيًا، تحمل في طياتها عمليات صراعات اجتماعية مادية ورمزية ونفسية، لأنها تشـــمل حالة من ''الفرض'' والإجبار .[6]ثالثًا، لفهم الاندماج الاجتماعي للمهاجرين، لا بد من فهم العلاقات الثنائية بين المجتمع الأصــلي والمجتمع المضــيف. رابعًا، حســب صــياد، فإنه لا فهم للاندماج دون فهم عمليات التنشئة و''إعادة التنشئة الاجتماعية'' والإنتاج و''إعادة الإنتاج الاجتماعي''، فضلًا عن كونها تحدث في حركات دائرية، أي أنه ليست لها بداية ونهاية.[7]

يعتبر صياد الدراسات السوسيولوجية التي قدمتها مدرسة شيكاغو حول وضعيات إندماج المهاجرين، ''أحادية الاتجاه''، من خلال تبنيها منظور المجتمع المضـــيف، أي إندماج المهاجرين في مجتمع الاســـتقبال، بدون النظر لسيرورات تشكل سلوكياتهم الاندماجية. في مقابل المدرسة الفرنسية التي يتبناها صياد عندما يؤكد في أبحاثه ''ثنائية

عملية الهجرة''، من خلال إعادة تعريفه للهجرة والغربة، واعتبارهما عمليات تكمل بعضـــها البعض لفهم قضـــية الهجرة كاملة، وهنا ينطلق دائمًا صياد ''من المجتمع الأصلي باتجاه المجتمع المضيف''، في فهمه لماذا يندمج ولماذا لا يندمج المهاجرون الجزائريون في فرنسا على سبيل المثال .[8]

كما أن ذلك المنظور الأحادي، يهمل فكرة يذهب إليها صياد مفادها أن تجربة المهاجرين في بلد الغربة توفر فهمًا وافيًا للتغيرات التي حدثت بالمجتمع الأصـــلي ومســـتقبل ذلك المجتمع، بقدر ما تمثله من مدخل نظري نحو فهم المجتمع المضـيف، وباسـتخدام هذا النمط السـوسـيولوجي من التفكير، فهجرة المصـريين إلى الخليج وأوروبا الغربية وأمريكا وأسـتراليا بداية من سـبعينيات القرن الماضـي، وبتطورها حتى الآن تعكس تحولات المجتمع المصـري نفسـه، بقدر ما تعكس تطورات المجتمعات المضيفة التي استقبلت تلك الهجرات المصرية، وهذا له مقام بحثه المستقل.

المهاجر وصراع الهوية

في سياق تناول عبد المالك صياد، بالتحديد في عمله حول ''الوعي المزدوج''، والذي يأخذ من المهاجرين الجزائرين إلى فرنسا –من خلال تتبع ما أسماه بالأعمار الثلاثة للهجرة الجزائرية– ميدانًا للدراسة، رصد فيه الهوية الاجتماعية للمهاجر بوصـفها تعبر عن ''مسـار'' المهاجر من بلد الهجرة (نقطة الانطلاق) إلى بلد الغربة (المجتمع المضـيف)، ولفهم الهوية وتشـكلها، لا بد من فهم معمق للمسـارات التاريخية والاجتماعية والثقافية هنا وهناك حسـب صـياد. ومن هنا نذهب إلى مفاهيم الحضـور المزدوج والغياب المزدوج، وهي بنظر صـياد، تعني التفكير الدائم في العودة إلى الموطن الأصـلي، بسـبب عواطف الحنين إلى الأرض والجماعة، ما يجعله في حالة صـراع مع المجتمع المضـيف ومع ذاته، وفي الوقت نفسـه، فالمهاجر يعمل على ترسـيخ وجوده في البلد المضـيف، فهو دائم التفكير في بناء مشـروعه وخططه للهجرة، مثل الاندماج من خلال آليات التعلم اللغوي أو المهني والزواج والتنقل الداخلي، أو العبور لوجهة أخرى.

تذهب معظم الانتقادات التي قُدمت للأطروحات الســـوســـيولوجية التي أنجزت حول الهوية والهوية الهجين في مجتمعات الهجرة وبالأخص مجتمعات الشتات، لمنطلقها النظري الذي يتبنى منظورًا''أحاديًا''، و''انتقائيًا .[9]''وفي هذا السياق، يجادل عبد المالك صياد بأن أطروحات الهوية قد اختزلت مفهوم الهوية في الطرائق التي تتأثر وتؤثر من خلالها في هوية المهاجرين، بين الغياب المزدوج والوعي المزدوج في المجتمع المضـــيف، وفي الأجيال الأولى على وجه الخصوص. وهنا تكرس دراسات الهوية اهتمامًا لفحص الآثار الاجتماعية والثقافية في ''البلد المضيف'' مثل تناول الكيفية التي تتعامل بها الدول مع المهاجرين من خلال الســـياســـات الإدماجية وحجم التأثر الديموغرافي وحجم

التضامن والمركزيات الدينية والثقافية والفردية وأشكال الظواهر الجديدة المرتبطة بالتغيرات والتحولات الهوياتية. وهذه الأطروحات بنظر صـــياد لا تأخذ بالاعتبار مســـارات التحول ''من'' و''إلى''، أي من بلد الإرســـال إلى بلد الاستقبال، ما يساعد على تخطي ذلك التناول الاختزالي وكشف القطيعات والاستمراريات في كلا المجالين .

مداخلة الكاتب

تعلمنا ســوســيولوجيا الهجرة (بالأخص الفرنســية والأمريكية) أنه لدراســة مجتمع الهجرة، لا بد من النظر في عدة عناصــر تشــاركها جميع مجتمعات الهجرة، وهي كالآتي: أولاً، بحث الترابط بين تجربة الهجرة نفســها، والعلاقة بينها وبين مشــروعها المســتقبلي، مثال: بحث العلاقة بين تمثلات المهاجرين تجاه معيشــهم ومجتمعهم في الهجرة وعلاقة ذلك بما يطمحون إليه في المستقبل المنظور.

ثانيًا، التعمق في العلاقة بين البلد المضيف والبلد الأصلي (مجتمع الهجرة ومجتمع الغربة كما يسميها صياد)، كونه يفســـر العديد من مترابطات الهجرة مثل الكيفية التي يندمجون من خلالها، ومســـارات تحولاتهم، وآليات كســـب عيشــهم وتشــكل علاقاتهم الاجتماعية. فمثلًا، هيمنة المجتمع الأصــلي على المغترب يتطلب بالضــرورة هجرات عائدة، مثلما كان الحال عليه في هجرات المصريين إلى الخليج بهدف ''تكوين النفس[10]''، أما إذا تحولت العلاقة لهيمنة المغترب على الأصــلي فهذا يعبر عن مســار آخر للهجرة، ينعزل بالمهاجر وأســرته خارج مجتمعه الأصــلي وهجرة السكان .

ثالثًا، دراسة العلاقة الثلاثية بين التمثلات والممارسات والطموحات، توفر فهمًا رصينًا لتجربة الهجرة بكامل تجلياتها فهذا الربط الثلاثي يساعد الباحث على فهم ما ''يفكر به المهاجر'' فيما يتعلق به نفسه والآخرون والمجال و''ما يقوم به'' و''ما سيقوم به .''

رابعًا، دائما ما تكون عمليات التصـــنيف الاجتماعي والمقارنات الاجتماعية الدائمة وعمليات التبرير حاضـــرة باعتبارها آليات تفكير هجراتية مشـتركة (توجد بكل مجتمعات الهجرة)، واسـتراتيجيات فردية وجماعاتية، فالمصـري في تركيا يقارن بين تركيا ومصـر، والتركي في ألمانيا يقارن بين ألمانيا وتركيا، والفلسـطيني في أمريكا اللاتينية يقارن بين فلسطين والبلد اللاتيني حيث يمكث .

خامسًـا، النظر في عمليات التحول الاجتماعي داخل مجتمعات المهاجرين، يعد ذا قيمة تفسـيرية نظريًّا ومنهجيًّا، لكونها تبحث نقاط التواصـــلات والقطيعات بين ما كان وما هو قائم، وهذا ما تختص به ســـوســـيولوجيا التغيير والتحول.

ســادسًــا، دائما هناك ما نســميه عمليات ''إعادة إنتاج'' عابرة للمجموعات والقوميات للمفاهيم، للتجارب، وللســلوكيات في المهجر، فالهجرات العائدة، والهجرات العمالية، والتحولات داخل مجتمعات الهجرة، ومعوقات الاندماج وإضطرابات الهوية، كلها قضايا يعاد إنتاجها في سياقات مختلفة، مع حفاظ كل سياق على خصوصيته.

ســابعًا وأخيرًا، ثمة ربط كلي بين مفاصــل الهجرة، فلا يمكن بحث تفاعلات العمال داخل ســوق العمل بمعزل عن بحث ظروف أسرهم وعلاقاتهم في المجتمع الأصلي وبحث موقعهم داخل بنية المجتمع، وهذا ما يسميه مارسل موس ''الظاهرة الكلية''، فدراسة المهجر تتطلب تناولًا لـــ''تفاعلات المهاجر في كل شيء''، عوضًا عن بحث العوامل الفردية وإهمال العوامل البنيوية على سبيل المثال، أو بحث ظروف المهاجرين في سوق العمل وإهمال التحولات التي تشهدها منظومة التعليم والأخلاق، إلى آخره.

بالرغم من كثافة الأبحاث التي تناولت معيش مجتمعات الهجرة، بداية من سؤال الاندماج باعتبار سؤال الاندماج، كلاسيكيًّا قامت عليه مدرسة شيكاغو في دراستها للهجرة والتحضر، لكونه أحد أهم انعكاسات إقامة المهاجرين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على بلد الاستقبال (المضيف) وعلى ديمومة واستقرار المهاجرين أنفسهم، ومرورًا بالتحولات الهوياتية وكسب العيش وصولًا إلى مستقبل مشروع الهجرة، إلا أنه تواجه دراسات سوسيولوجيا الهجرة المنبثقة من المجتمع العربي تحديات عدة، أهمها القدرة على تخطي الســياقات المتعلقة بالإثنومركزية التي ما زالت حتى اليوم أســاس تناول قضــية الهجرة ومترابطاتها في المنطقة العربية، وهذا يطرح ســؤالًا: هل من نموذج ســوســيولوجي متماسك يفسر الهجرات العربية إلى أوروبا وأمريكا الشمالية بخاصة بعد تظاهرات الربيع العربي، من حيث سيرورات التجربة من فكرة الهجرة وحتى مستقبلها، لينتقل بنا ليصبح مرجعية سوسيولوجية متماسكة للجماعة العلمية؟ بمعنى آخر، هل من صياد آخر ينتقل من حالة تاريخية إلى نموذج سوسيولوجي؟

قائمة المراجع :

[1] Brettel, Caroline, Hollifield. 2008. Migration theory: Talking across disciplines. second edition New York: Routledge, 114-138.

[2]صـــياد، عبد المالك. 1999. الغياب المزدوج: من أوهام المهاجر إلى معاناة المغترب. باريس: العتبة، 45-68.

[3]صـــياد، عبد المالك. 1999. الغياب المزدوج: من أوهام المهاجر إلى معاناة المغترب. باريس: العتبة، 45-107.

[4]بلعباس، عبد الله. 2013. ظاهرة الهجرة عند عبد المالك صـــياد : من الســـياق التاريخي إلى النموذج السوسيولوجي. وهران: إنسانيات، 25-37 .

[5]صـــياد، عبد المالك. 1999. الغياب المزدوج: من أوهام المهاجر إلى معاناة المغترب. باريس: العتبة، 57-64.

[6] Azrrar, Abdallah. 2021. From assimilation to integration through the sociology of immigration: ruptures and continuities. Berlin: Journal of Social Sciences, 427-444.

[7]صـــياد، عبد المالك. 1999. الغياب المزدوج: من أوهام المهاجر إلى معاناة المغترب. باريس: العتبة، 42-75.

[8]صـــياد، عبد المالك. 1999. الغياب المزدوج: من أوهام المهاجر إلى معاناة المغترب. باريس: العتبة، 82-107.

[9] Gillette, Sayad, Abdelmalek. 1976. Algerian immigration to France. Paris, ed. Agreement, 34-72.

[10]أمين، جلال. 1999. ماذا حدث للمصـريين: تطور المجتمع المصـري في نصـف قرن 1945- 1995. القاهرة: دار الشروق، مكتبة الأسرة، 169-177

خـــــاتمـــــة

تعتبر هذه المطبوعة مدخلاً عاما لمقياس علم الاجتماع في الجزائر وهي حلقة وصل للطالب المتمدرس بالسنة ثانية ليسانس تخصص علم الاجتماع، وينبغي عليه المواصلة بالغوص والتقصي والبحث الجاد لمختلف محاور هذا المقياس.

فالمحاولات السوسيولوجية بالجزائر أخذت على عاتقها ابراز وتوضيح الجوانب المختلفة للواقع الاجتماعي الذي عرف انهياراً لعدة أسباب.

فالتراث النظري الذي ارتكزنا عليه في محاضراتنا نسعى من خلاله إلى تحليل وتفسير وتقديم مختلف التحولات الاجتماعية على المستوى الأكاديمي بالجامعات الجزائرية من الفترة الاستعمارية إلى يومنا هذا.

وأخيراً نرجوا أن يكون عملنا هذا قدم المعلومات اللازمة للطالب التي تساعده على اكتساب هذه المادة العلمية وتوجيههم إلى مزيداً من البحث والدراسة بالنفس الموضوع